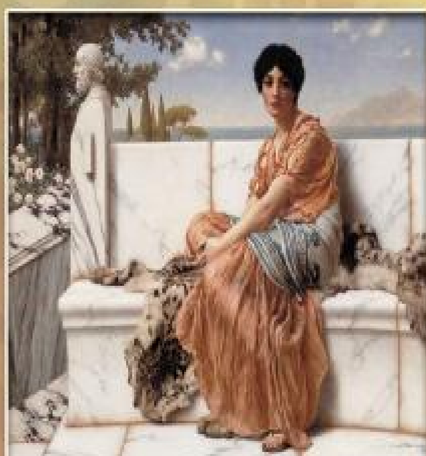
وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

أشهر شاعرات الحب في بلاد الشرق والغرب

(تراجم ومختارات شعرية)



القسم الأول

آفاق ثقافية
١١٣

د. إحسان هندي

أشهر شاعرات الحب
في بلاد الشرق والغرب
القسم الأول

آفاق ثقافية

أشهر شاعرات الحب

في بلاد الشرق والغرب

(تراجم ومختارات شعرّيـة)

القسم الأول

د. إحسان هندي

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٢م

آفـاق ثقافيـة

العـدد (١١٢)

آب ٢٠١٢م

أشهر شاعرات الحب في بلاد الشرق والغرب: تــراجم ومختارات شعرية / إحسان هندي - القــسم الأول .- دمشق : الهيئة العامة الــسورية للكتــاب، ٢٠١٢م .- ٢٤٠ ص؛ ٢٠ سم.

(آفاق ثقافية؛ ١١٢)

١- ٨٠٨,٨١ هــ ن د أ ٢- ٩٨٢ هــ ن د أ

٣- العنوان ٤- هندي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الإهداء

إلى روح الشاعر المصري المُجدّد علي محمود طه، الذي فَتَحتْ أشعارُهُ وكتاباتُهُ عينيَّ لأول مرة على أهمية الحب في حياة البشر، وخاصة الأدباءِ والفنانين منهم.

إحسان هندي

مقدمة الكتاب

يؤكد الفلاسفة أنّ الإنسان، أيَّ إنسان، مفطور على حبّ ثلاثة أقانيم هامة وضرورية للحياة، وهي الحقّ، والخير، والجمال.

وإذا قَصرْنا حديثنا على هذا الأخير نجد أن المؤرخين والآثاريين قد أكدوا على وجوده لدى الكائنات البشرية منذ أن وجدت الخليقة، وإن تعدَّدَتْ المظاهر التي تُعبر عنه.

ولهذا فلا غرابة بأن نجد في الحضارات القديمة، وبخاصّةٍ الحضارات المشرقية، تماثيل أو لوحات تدل على حب الجمال مثل تمثال «أفروديت خارجة من البحر» عند اليونان، وتمثال «فينوس ده ميلو» عند الرومان، ومئات اللوحات من الفسيفساء المتناثرة بين روما وبلاد المشرق، والتي تحتفظ بروعتها وجمالها الأخاذ حتى أيامنا هذه.

وإلى جانب اللوحات والتماثيل التي تدل على حبّ الجمال ظهرت نصوص نثرية وشعرية تدل على الأمر نفسه.

وهذه النصوص ليست كلها من إبداع الشعراء الذكور، حيث إن بعضها من نّظْم شاعرات خلدهنَّ التاريخ منذ أقدم العصور مثل

«بيتوحا» المصرية، و«بُلبالة» السومرية، و«عناة» الأوغاريتية، و«سافو» الإغريقية، و«إيرينا» الهلنستية، وغيرهن كثيرات!

ولم تقتصر موضوعات الشعر على المواضيع المتعلقة بالعلاقات بين الرجل والمرأة (التعارف، الحب، الخطبة، الزفاف، العلاقات الحميمة... إلخ)، بل كان هناك مواضيع أخرى طبعاً، ولكننا سنقصر بحثنا هنا على شعر الحب لأنه هو الموضوع الذي اخترناه لهذا الكتاب.

وعموماً اهتم الفلاسفة والأدباء الأقدمون بموضوع الحب وأعطوه مكان الصدارة، بل إن بعضهم حاول «التنظير» في هذا الأمر مثل الشاعر الروماني أوفيد Ovide في كتابه «فن الحب: Ars Amatoria»، حيث حاول فيه أن يبحث في ماهية الحب وأسبابه والعلاقة بين المحب والمحبوب.

ولم يقصِّر شعراء العربية في بحث هذا الموضوع، بل كان منهم من كرّس الجانب الأكبر من شعره للحب والحبيب مثل عمرو بن كلثوم، وقيس بن الملوح، وجميل بثينة، وكثير عزة، وديك الجن... من الشعراء.

كما ظهرت شاعرات على منتهى الصراحة والجرأة في التعبير عمّا في قلوبهن، مثل ولادة بنت المستكفي التي قالت:

أُمكِّن عاشقي من صحن خدّي

وأعطي قبلتي من يشتهيها

ويظهر أن الأمر لم يقف مع ولادة عند حدود القُبل حيث نجد شاعرة أندلسية أخرى، من شواعر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) اسمها (مُهجة بنت التّياني القرطبية)، تقول:

ولاّدة قـــــــــد صِــــــــرْتِ ولاّدةً

مـــن غيـــر بعـــلٍ فُـــضِحَ الكَـــاتمُ!

ومن المؤكد أن سكان الأندلس كانوا أكثر تحرراً من غيرهم في بقية الأقطار الإسلامية، حيث نجد شاعراً وفيلسوفاً أندلسياً هو «ابن حزم» قد كرّس كتاباً بكامله، وهو «طوق الحمامة»، للبحث في شؤون الحب والمحبين وكل ما يتعلق بالحب أو يتفرع عنه، علماً بأنه فيلسوف ذو نزعة إسلامية، وله نظرية مُعتمدة في الفقه الإسلامي (النظرية الظاهرية)!

وقد حاول ابن حزم في كتابه هذا تحليل عاطفة الحب، وفسّرها على أساس أنها نوع من التشابه الكيماوي في التركيبة الجسدية لكلا العاشقين، مما يخلق التجاذب بينهما، وهو يقول في هذا المجال:

«زعم بعض المتفلسفين أنَّ الله جلّ ثناؤه خلق كل روح مدورّة الشكل على هيئة الكرة، ثم قطعّها أيضاً فجعل كل جسد نصفاً، وكل جسد لقي الجسد الذي فيه النصف الذي قُطع من النصف الذي معه، كان بينهما عشق للمناسبة القديمة، وتتفاوت أحوال الناس في ذلك حسب رقة طبائعهم».

- نقول كل هذا لإثبات أن البحث في أدب العشق وشعر العشق ليس أمراً خارجاً عن أعرافنا وتقاليدنا نحن العرب سواء في العصور القديمة أو المتوسطة أو الحديثة.

وإذا شعر أحد القراء أن قصيدة شاعرة ما أو سيرتها الشخصية ليستا على الشكل الذي يقبل به فيجب أن يتذكر أمرين:

١- دفاعاً عن نفسنا نقول بالحكمة المعروفة: «ناقل الكفر ليس بكافر».

٢- ودفاعاً عن الشاعرة المعنية نرجو أن يكون الحكم عليها أو لها حسب درجة شاعريتها، وليس بحسب قناعاتنا الأخلاقية!

* * *

خطّة الكتاب

سنذكر فيما يلي ترجمة حوالي مئةٍ شاعرة عالمية من الأسماء الأكثر شهرة في ميدان الشعر الغزلي والعاطفي من مختلف بلدان العالم، في الشرق والغرب، وعلى مرّ العصور، بدءاً من مصر الفرعونية، وحتى الشاعرات المعاصرات، بمن في ذلك الشاعرات العربيات.

وسنورد لكل واحدة من هؤلاء عدداً من القصائد يتراوح بين الاثنتين والخمس، بحسب درجة أهميتها، وبحسب النصوص المتوفرة لدينا لكل شاعرة بالإنجليزية والفرنسية أو العربية.

وسنقسم دراستنا هذه حسب المعيار الزمني (تاريخ ميلاد الشاعرة صاحبة العلاقة) إلى أربعة فصول:

١- شاعرات ما قبل الميلاد وحتى عام ٥٠٠ ميلادي.

٢- شاعرات العصور الوسطى (من ٥٠١ وحتى ١٥٠٠م).

٣- شاعرات العصور الحديثة (من ٥٠١ وحتى ١٨٠٠م).

٤- شاعرات العصر الحاضر (١٨٠١ وحتى ٢٠٠٠م).

وقد قسمنا الفصل الأخير إلى فرعين:

- **الفرع الأول:** عن شاعرات الغَرْب بما في ذلك أُستراليا واليابان.
- **والفرع الثاني:** عن شاعرات العَرَب.

* * *

الفصل الأول

شاعرات ما قبل الميلاد
وحتى عام ٥٠٠م

أولاً - الشاعرة بلبالة السومرية (بلاد الرافدين):

امتدت الحضارة السومرية حوالي ١٥٠٠ عام، بين ٣٢٠٠ و١٧٠٠ ق.م وكانت عاصمة الدولة السومرية مدينة «أور» في جنوب العراق، وهي المدينة التي يقال إن النبي إبراهيم عليه السلام قد عاش فيها قبل انتقاله إلى فلسطين.

ولا نعرف الكثير عن «بلبالة» هذه سوى أنها كانت تعمل مع فرقة «إنانا»، التي كانت تغني في البلاط السومري أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، أي حوالي ٢١٠٠ ق.م.

ومن الجدير بالذكر أنه تم اكتشاف هذه القصيدة منقوشة على لوحة مزخرفة في متحف استنبول عام ١٩٥١م، وقد ترجمها

من السومرية إلى الإنجليزية المؤرخ والآثاري المعروف «صامويل كرومر»، ثم ترجمها المؤرخ العراقي طه باقر من الإنجليزية إلى العربية بالصيغة التالية التي تذكرنا بالقصيدة التوراتية المعروفة: «نشيد الإنشاد La cantique des cantiques»

وفي هذه الحالة يكون نشيد الإنشاد هو المقتبس عنها وليس العكس لأنها أقدم منه في الظهور.

ومن المحتمل أن يكون العبرانيون قد اقتبسوا قصيدة بلبالة هذه أثناء فترة سبيهم في بابل، ثم أدخلوها في «تَوْراتهم» تحت اسم «نشيد الإنشاد»، وهذا الكلام ليس فيه أي مساس بقدسية «التوراة الأصلية» الموحى بها من الله، والتي تحدث عنها القرآن الكريم ولم تعد موجودة اليوم.

بقيت نقطة أخرى يجب الكلام فيها وهي بتُّ مسألة أسبقية قصيدة «بُلبالة السومرية» هذه على قصيدة «بيتوحا الفرعونية» التي سنتحدث عنها في الفقرة التالية أم العكس؟

الحقيقة هي أنه ليس هناك من دليل آثاري يساعدنا على بتِّ هذه النقطة، ولكننا رأينـــا من تحليل كلمات كلٍّ من هاتين القصيدتين أن القصيدة المصرية فيها كلمات أَحْدَث، فاعتبرنا قصيدة بُلبالة هي الأقدم، وبهذا تكون أقدم قصيدة حب مكتوبة في التاريخ، ولهذا ذكرناها قبل غيرها.

نصٌّ القصيدة :

تقول بلبالة السومرية في قصيدتها هذه، التي يظهر أنها كانت تُغنى ضمن فرقة «إنانا» في البلاط السومري، مخاطبة حبيبها:

«أيها العريس الحبيب إلى قلبي

جَمُالك باهر حلوٌ كالشهد

أيها الأسد الحبيب إلى قلبي

جمالك باهٍ حلو كالشهد!

لقد أسرْتَ قلبي فدعني

أقف بحضرتك وأنا خائفة مرتعشة.

أيها العريس! سيأخذونني إلى غرفة النوم

لقد أسرْتَ قلبي فدعني

أقفْ بحضرتكَ وأنا خائفة مرتعشة

أيها الأسد ستأخذني إلى غرفة نومك،

أيها العريس

دعني أدللك

فإنّ تدليلي طَعِمٌ وشهي

وفي حجرة النوم الملأى بالشهد

دعنا نستمتع بجمالك الفاتن.
أيها الأسد، دعني أدللك
فإن تدليلي أطعم وأشهى من الشهد!
أيها العريس! لقد قضيتَ وطر لذتك مني
فأبلغ أمي وستعطيكْ الأطايب
أما أبي فسيغدق عليك الهبات
وروحكَ، أنا أعرف كيف أبهج روحك،
وقلبك، أنا أعرف كيف أدخل السرور إلى قلبك!
أيها العريس، نَمْ في بيتنا حتى انبلاج الفجر،
أيها الأسد، نم في بيتنا حتى انبلاج الفجر،
وإنك لأنك شهواني
هبني بحقك شيئاً من تدليلك وملاطفتك.
يا مولاي الإله، ويا سيدي الحامي
موضعك جميل حلو كالشهد فضعْ يدك عليه
قرِّب يدك عليه كرداء الجشبان
إنها قصيدة غناء بُلبالة
من قصائد إنانا»

ثانياً - بيتوحا الفرعونية (مصر):

لا نعرف عن حياة هذه الشاعرة سوى أنها عاشت في القسم الشمالي من مصر (الدلتا) أوائل الألف الثانية قبل الميلاد.

وقد حفظ لنا التاريخ قصيدتين، أهمهما وأشهرهما هي القصيدة رقم (١) من حيث ترتيب البحث والتي نعرف عنها أكثر من القصيدة الثانية:

القصيدة الأولى:

تبدأ قصة اكتشاف هذه القصيدة عندما عثر عالم الآثار الألماني المعروف «شبيجلبرغ»، في متحف الآثار القديمة بالقاهرة، على قصيدة شعرية مرقومة بالأحرف الهيروغليفية، وعندما قام بفك رموزها وجد فيها قصيدة حب عذبة تختلط فيها المشاعر العاطفية بالتلميحات الإيروتيكية (الجنسية)، وكان أن بهرته هذه القصيدة بجمالها ونعومتها، فقام بترجمتها إلى الألمانية ونشرها في مطلع القرن العشرين تحت عنوان «أحلامُ عاشقة»، وظهرت بعد ذلك فوراً ترجمتها إلى الفرنسية التي كانت – ولا زالت – لغة الثقافة العامة والحب والغزل!

وفي عام ١٩٣٨ قام الأديب المعروف إبراهيم المصري بترجمة هذا النص الفرنسي إلى العربية تحت عنوان «تمنيات عاشقة»، وقد نشره في كتابه الموسوم «مختارات عالمية من الشعر الغرامي» ضمن الصيغة التالية:

«آه يا أخي
يا للعذوبة التي أجدها
حين أهبط النهر معكَ
وأستحم فيه أمامك!
إني لأودّ أن أكشف لكَ عن محاسني كلها
عندما أكون في النهر
(لا) تسترُ بدني (إلا) غلالة رقيقة
يبللها الماء!
أودّ أن أهبط إلى الماء معك
وأخرج من الماء معك
حاملة سمكة حمراء
تبدو رائعة الجمال
وهي بين أصابعي
فَتَعال، تعالَ وانظر إليّ».

* * *

وكان أن قرأ الشاعر المصري المبدع علي محمود طه نص هذه الترجمة فأخذه وصاغه شعراً على الشكل التالي:

«يا للسعادة يا حبيبي حين أهبطُ للنهر
كي أستحم وأنتَ تُمعن في مفاتني النظرْ

* * *

أشتاق أن أجلو أمامك – يا حبيبُ – محاسني
بغلالةٍ مبتلة كشفت جميع مفاتني!

* * *

أهوى إلى الماء الهبوطَ، وأشتهي أن أتبعك
وأشدُّ ما أهواه منه صعودنا وأنا معك.

* * *

بيديّ من سمكاته حمراء رائعة الجمال
فتعال لي أنظر إليك، تعال وانظر إليّ، تعال»

* * *

وقد عثر زميلنا الشاعر محمد منذر لطفي على هذا النص الشعري لعلي محمود طه فأورده نثراً في مقالة له نشرها في مجلة «المعرفة» السورية، وذلك في الصيغة التالية:

«إنه لمبهج حقاً يا حبيبي الذهاب إلى الغدير

هناك سأستحم بحضورك
وسأتيح لك أن ترى جمالي، وتتمتع بمفاتني
سوف أنزل معك إلى الماء
وأعود ومعي سمكة مذهبة جميلة وحمراء
تستريح بنشوة على أصابعي
تعال يا حبيب فأنا أدعوك
تعال لأنظر لك كثيراً
تعال وانظر لي كثيراً»

القصيدة الثانية:

أما قصيدة بيتوحا الثانية فهي – على حد علمنا الشخصي المتواضع – غير منشورة بالعربية، وقد عثرنا على نصّها بالفرنسية ضمن المرجع المذكور أدناه، وهي كما القصيدة الأولى – تحوي بعض الرموز الأيروتيكية:

«أنا صديقتك الأولى
انظر فأنا كما البستان
الذي زرعت فيه شتى الأزاهير
وكل الأعشاب الطيبة الرائحة!

كم هو جميل حوضه
الذي حفرته أنتَ بيديك
على طراوة ريح الشمال!

* * *

كم هو جميل المكان الذي أتنزه فيه،
عندما تضع يدك على يدي
يرتعش بدني بالسرور، ويسعد قلبي!
دعنا نمشِ سوياً
إنّه لترياق مسكر أن أسمع صوتك
فأنا أحيا بهذا الصوت!
عندما أنظر إليك
فإنّ كل نظرة تكونُ لي أفضل من أي طعام
وخيراً من أي شراب»

* * *

ثالثاً ـ سافو الإغريقية (٦٣٠ ق.م – ٥٥٩ ق.م):

(Sappho or psappha (630 – 559 B.C)

حيـــاتها:

ولدت سافو في بلدة «إيريزوس Eresus» التي تقع على الجزء الجنوبي من جزيرة «ليسبوس Lesbos»، وهي إحدى الجزر اليونانية الواقعة في بحر إيجه، شمالي شرق مدينة أثينا.

وتقول موسوعة «السودا Souda» إن سافو قد شاركت في الأعياد الأولمبية الثانية والأربعين التي جرت بين ٦١٢ ق.م و ٦٠٨ ق.م، وإذا كانت هذه المعلومة صحيحة يكون تاريخ ميلاد سافو حوالي عام ٦٣٠ ق.م.

ويدّعي سترابون Strabon أنها كانت معاصرة للشاعر اليوناني آلكايوس Alkaeus، الذي ولد عام ٦٣٠ ق.م أيضاً.

أما المؤرخ اليوناني القديم «آتيناوس Athenaus» فيجعلها معاصرة لملك مقاطعة ميديا «آلياتيس Alyattes»، الذي حكم بين ٦١٠ ق.م و ٥٩٠ ق.م.

وهذا لا يمنع من اعتماد الرواية الأولى، أي أن تكون ولادتها عام ٦٣٠ ق.م، وأما وفاتها فكانت على الأرجح عام ٥٥٩ ق.م، أي في أواسط القرن السادس قبل الميلاد.

كان والد سافو من التجار واسمه «سكاماندرونيموس Scamandronymus»، وأما والدتها فكانت سيدة يونانية اسمها «كلييس Cléis».

وقد رُزقت العائلة بثلاثة أولاد ذكور إلى جانب سافو، وأسماؤهم حسب ترتيب أعمارهم: «خاراكسوس Charaxus، إيريجيوس Erigius، لاريخوس Larichus».

وكانت سافو قصيرة القامة سمراء البشرة، ولا تتمتع بقدر كبير من الجمال، ولكن جميع المصادر تصر على أنها كانت ذات شخصية محبوبة من جميع من يعرفونها!

توفي والد سافو عندما كانت في السادسة من عمرها، فبقيت مع إخوتها الثلاثة تعيش في كنف الأم (كلييس).

وعندما بلغت العشرين من عمرها كان أخوها الأكبر خاراكسوس يملك متجراً صغيراً، ويعمل في التجارة مع مصر وصقلية وكريت، ويظهر أنه كان يعمل في السياسة أيضاً، ولذا أصدر حاكم ميتيلين مرسوماً بنفيه إلى جزيرة صقلية مع أخيه لاريخوس، وعندما احتجت سافو على هذا الإجراء حكم بنفيها هي أيضاً إلى مدينة سيراكوزا في الجزيرة نفسها، وهكذا قضت

سافو ثمان سنوات من حياتها في النفي، ويقال إنَّ هذه السنوات كانت بين ٦٠٣ ق.م إلى ٥٩٥ ق.م، ولم تعُدْ إلى ليسبوس إلا بعد توقعيها على تعهد بألا تعمل في السياسة بعدئذ!

وبعد عودتها من المنفى قامت سافو بافتتاح «أكاديمية Thiasus» لتعليم بنات العائلات الراقية فنون الحياة الاجتماعية، التي يجب معرفتها وإجادتها من قبل زوجات المستقبل، من شعر وغناء ورقص ونقر على الدف...

ويتهمها بعض المؤرخين بأنها لم تكن تعلمهن ذلك فقط، وإنما كانت تعلمهن أيضاً فنون الحب المثلي بين النساء Homosexualité!

ويستدل هؤلاء على صحة رأيهم بأن أشعارها التي تم اكتشافها حديثاً وجدوا بينها قصيدة كاملة تتغزل فيها سافو بتلميذة من تلميذاتها اسمها «آتيس Atthis» وأنها عنونت هذه القصيدة بالصيغة التالية: «إلى فتاة حبيبة A une Bien Aimee».

كما أن بقية شعر سافو الذي لا يزيد في جملته على ١٥٠٠ بيت، طافح بأسماء طالبات لها مثل «آماكتورا، ميغارا، ليتو، تيليسيبا، آناغورا، غونجيلا، أونيكا، غورغو.. إلخ»!

ولهذا لم يكن غريباً أن يحمل هذا النوع من الحب المثلي بين النساء اسم «Saphisme» نسبة إلى سافو، أو «Lesbianisme» نسبة إلى جزيرة ليسبوس، حتى الآن.

والحقيقة أن ارتباط هذا النوع من الحب باسم سافو لا يحمل برهاناً قاطعاً بأن هذه الشاعرة هي التي ابتدعته أو أنها كانت تعلمه لتلميذاتها.

إنّ سبب هذا المزج المؤسف ينبع من شعر سافو نفسها: إن شعرها يختلف عن شعر زملائها من الشعراء الذكور (ألكايوس مثلاً) بأنه ليس هناك فيه أية حدود واضحة بين «المُحبّ Lover» و«المحبوب Beloved»، ولهذا لم يكن لديها مانع من التغزل بطالباتها لأنها كانت بذلك تتغزل بنفسها وبنجاح مشروعها في الوقت نفسه!

- وإذا كانت سافو قد تغزلت بواحدة من طالباتها فإن هذا لم يمنعها من نظم قصيدة أخرى تتغزل فيها صراحة بأحد الشباب، وعنوان هذه القصيدة «لا جدوى من المقاومة Its no use» وفيها تقول:

«يا أمي العزيزة
ليس بوسعي أن أحقق وعودي وتمنياتي،
يمكن أن تلومي الربّة أفروديت على ذلك
لأنها بالرغم من رقتها
قتلتني بالحب
الحب الذي أشعر به تجاه هذا الشاب»

ولعل هذا الشاب الذي ذكرته في نهاية هذه القصيدة هو الفتى «فاون phaon» الذي قيل أنها أحبته حتى الهيام، وحاولَ الانتحار من أجلها برمي نفسه من أعلى جبل «لوكاد» إلى البحر، ولكنها لم تنجح في ذلك.

فمن المؤكد أن المُصابات بالحب المثلي لا يُقدمن على الانتحار من أجل شاب من الذكور!

- هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن سافو تزوجت وعاشت حياة طبيعية مع زوجها المدعو «سيرسيلاس Cercylas»، وأنجبت منه ابنتها «كلييس Cleis»، وقد أحبت ابنتها هذه حتى العبادة وقالت فيها قصيدة رائعة التعبير:

«لي طفلة جميلة شبيهة بالورود الذهبية
كلييس هو اسمها...
حبيبتي التي لا أستبدل بها
مملكة ليديا بكاملها»

وعموماً يبقى هناك احتمال يفسر هذه الازدواجية في ميول سافو، وهو أن تكون هناك امرأتان باسم سافو عاشتا في الفترة نفسها تقريباً: الأولى هي شاعرتنا سافو، والثانية هي امرأة سيئة السلوك ومنحرفة جنسياً، وبهذا اختلط الأمر على المؤرخين

والنقاد في الفترة اللاحقة فقال الكاتب «سينيكا» عن سافو «عاهرة» وهي لا تستحق هذا الوصف بتاتاً.

- أخيراً ومهما كانت طبيعة الميول الجنسية التي كانت سافو تتصف بها، فإننا نحكم عليها هنا بصفتها الشعرية، وليس من الناحية الأخلاقية!

٢- الملامح العامة لشعرها:

يمتاز شعر سافو بقابليته للغناء بمصاحبة القيثارة Lyre، أي أنه من قبيل ما سُمي بعدها باسم «الشعر الغنائي :Lyric Poetry Poésie Lyrique»، وقد شاركها في استخدام هذا النوع من الشعر الشاعران (آلكايوس) و(آناكريون) وهما من جيلها نفسه.

وقد استخدمت سافو مع زميلها آلكايوس «اللهجة الإيولية: Aeolis» في النظم، بعكس آناكريون وشعراء اليونان الآخرين الذين نظموا باللهجة الإيونية.

- وكانت سافو تتبع أسلوباً خاصاً في تقطيع القصيدة أخذ اسمها فيما بعد

«The Sapphic stanzas: La strophe sapphique»

وذلك بتقسيم القصيدة إلى رباعيات Quatrains، وتضم كل رباعية أربعة أبيات: الثلاثة الأولى متساوية في الطول، كل منها

يتكون من (١١) مقطعاً صوتياً pieds، وتسمى (Hendyeasyllabes)، والرابع أقصر منها بطول أربعة مقاطع صوتية فقط ويسمى (Epode)، والمثال على ذلك النص التالي:

1)- All the night sleep come not upon my eye lids.

2)- Sled not dew, nor shook nor unclose a feather.

3)- Yet with lips shut close and with eyes of iron.

4)- stood and beheld me.

وقد قلّدها في هذا الأسلوب من القدماء الشاعران الرومانيان «كاتوللوس catullus» و«هوراس Horace»، كما قلّدها في العصر الوسيط كل من البابا غريغوريوس السابع عام ١٠٧٣م، والشاعران الإيطاليان جيوفاني بوكاشيو وفرانشيسكو بترارك، ومن الفرنسيين قلدها الشاعر راسين وخاصة في مسرحيته «فيدرا phédre».

وأما في العصر الحديث، بل حتى الحاضر، فقد قلّدها الشاعر الأمريكي الشهير «إزراباوند» في قصيدته التي تحمل عنوان «Appurit».

– وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا حول ميول سافو الجنسية، وهل هي «طبيعية» تحب الذكور فقط، أم أنها «مثلية الجنس» لا تحب إلا بنات جنسها أم «مزدوجة الجنس

Bissexuelle» تحب الذكور والإناث معاً، فإن مؤرخي الأدب لم يختلفوا بتاتاً حول قيمة سافو في فن الشعر وأثرها في تقدّم هذا الفن وتطوره سواء على مستوى الأدب اليوناني أم مستوى الأدب العالمي!

قال عنها سترابون: «إننا إذا حاولنا أن نجد شاعرة في قوة سافو وإتقانها ضاعت محاولاتنا عبثاً، ووجدنا بطون كتب التاريخ خالية خلواً تاماً من شاعرة تشبهها في الشعر الغرامي».

كما أن المشرّع المعروف صولون عندما سُئل عن الأمنية التي يشتهي تحقيقها قبل موته قال: «قصيدة من ســـافو أُرَددها ثم أموت»!

وكانت سافو موضع تقدير الشعراء السوريين في العصر الهيلينيستي، حيث نجد أن كلاً من ميلياغروس الغَدري وانتيباتروس الصيداني، قد خصَّصا بضعة قصائد لمدحها والتغني بشعرها بالرغم من أنهما قد أتيا بعدها بخمسة قرون تقريباً!

وليس هذا غريباً منهما فقد سبق لأفلاطون أن سمّى سافو «ربة الشعر العاشرة Th10th Muse»، كما قال فيلسوف آخر عن شعرها:

«Few But Roses All»!

والمعنى بالعربية: «ما وصل لنا منها كان القليل، ولكنه ورود مليئة بالعطر»!

- وأما بالنسبة للفرنسيين المعاصرين فقد وصفها الكاتب والشاعر روبير برازيّاك بالكلمات التالية:

«Sappho est à jamais la merveille du lyrisme grec»!

أي: «ستبقى سافو إلى الأبد أعجوبة الشعر الغنائي اليوناني».

ووصفها ناقد فرنسي آخر بكلمات تجمع بين المدح والقدح فقال عنها: إنها «الملعونة المعبودة La Maudite Adorée».

- وقد نظم ثلاثة شعراء فرنسيين قصائد مديح كاملة باسم سافو، وتوخوا فيها تقليد طريقتها في النظم، وهم ألفونس ده لامارتين، بليس كارمان، ورونيه فيفيان، وها هي الترجمة العربية للقصيدة التي نظمتها رونيه فيفيان تقديراً لسافو:

«أنت يا ريحانة بافوس Paphos

أيتها الكاهنة، بل أيتها الشاعرة

علمينا سر ذلك الحزن الربّاني!

علّمينا كيف نتشوّق للعناقات المتعجلة

عندما تتأوه الرغبة وتذبل بين الزهور

ويا سحر مدينة ميتيلين

علّمينا أبيات الشعر الذهبية
التي لا يحدُّ منها إلا الموت
عندما يتوقف نَفَسكِ الموسيقي
علّمينا يا سافو».

٣- جملة نتاجها الشعري:

تم جمع ما اكتشف من شعر سافو، منذ ١٨٩٨ وحتى اليوم، في ستة كتب بحسب بحور النظم، ولم يصلنا في هذه الكتب إلا قصيدة واحدة كاملة هي «نشيد إلى أفروديت Ode à Aphrodite»، وأما البقية الباقية من هذا الشعر الذي تحت أيدينا لها فهو جملة مقاطع وردت في كتب الآخرين عنها.

والذي نعلمه بشكل أكيد أن سافو نظمت تسعة دواوين شعرية من قبيل الشعر الغنائي، وديواناً عاشراً في شعر الرثاء.

وهذه الدواوين مختلفة الحجم حيث يضم الأول منها ١٣٢٠ بيتاً مقسمة إلى ٣٣٠ رباعية في ستين أو سبعين قصيدة، وأما كتابها الثاني فلا يضم إلا ١٣٠ – ١٥٠ سطراً في قصيدة واحدة فقط.

ومن كل هذا لم يصلنا إلا ٦٥٠ بيتاً موزعة على خمس قصائد، مع بعض المقاطع المجتزأة، والقصائد الخمس هي حسب العناوين التي عُرِفت بها بالفرنسية:

١) – نشيد للربة أفروديت — 1) - Ode à Aphrodite

٢) – الحبيبة الغائبة — 2)- L' Absente

٣) – لحظات الوداع — 3) – Les Adieux

٤) – أناشيد الليل — 4) – Nocturnes

٥) – اعترافات حميمة — 5) – Confidences

وبعض هذه العنوانات يتكرّر في صيغ متعددة، فمثلاً القصيدة التي تحمل العنوان التالي بالإنكليزية: «Ode to a girl».

تحمل عنوانين مختلفين في مصادر أخرى:

١) – أشعر بأكثر من — 1) – I more than envy him

٢) – يبدو لي شبيهاً — 2)- peers to the Gods he seems to

ونجد لها عنوانين آخرين بالفرنسية:

١) – إلى فتاة محبوبة جداً — 1) – A une fille Bien aimée

٢) – كنتُ على وشك الموت — 2)- Au bord d´en mourir

وقد عثرنا في ثلة من المصادر الإنكليزية على ثبت بأسماء أكثر من مائة قصيدة لها، ولكن لا يوجد تحت أيدينا منها إلا هذه القصائد الخمس الوارد ذكرها أعلاه، والظاهر أن الكنيسة عملت على إتلاف قسم كبير من دواوينها وقصائدها في العصر الوسيط!

٤- مختارات من شعرها:

اخترنا خمساً من قصائد سافو للتعريف بشعرها، وسنقوم فيما يلي بترجمتها إلى العربية، وهي على التوالي: إلى فتاة محبوبة جداً، إذاً سوف لن أراها ثانية، أنشودة إلى أفروديت، الصبايا، في رثاء الفتاة تيماس.

إلى فتاة محبوبة جداً À une bien – aimée:

«سيذوق سعادة ربانية
ذاك الرجل الذي بوسعه أن يجلس مقابلاً لكِ
يتأمل محاسنكِ، ويتذوّق حلاوة صوتك،
ذاك الذي بوسعه أن يتلمّس سحر ضحكتك
تلكَ الضحكة التي أعرفها جيداً
وأعرف أنها تصهرُ قلبي في داخلي!
آه، هل تعلمين؟
بمجرد أن أراكِ، ولو للحظة قصيرة
يزول المرح عن شفتي ويتلاشى فجأة
ويجف لساني وكأنه انشطر
وبغتة في أعماق جسدي
تتسلل نار خفيّة إلى داخلي

وتعْشى عيناي
وكل شيء يبدو أمام ناظري مشوشاً
وتضج أذناي بالدوار،
جسدي يتصبب عرقاً
ويرتجف بكامله
ويصبح لوني أكثر اخضراراً من العشب
ولا ينقصني عندئذ شيء كثير
لكي أشعر بأني متُّ فعلاً»

* * *

إذاً سوف لن أراها ثانية So I shall never see her:

كنت أقرب ما أكون للموت وأنا أذرف الدموع الغزيرة
عندما ودّعتني قائلة:
«كم هي مصيبة أليمة، وياله من حزن!
سافو، إنني أقسم بأنني أفارقكِ رغماً عني».
ــ وقلت مجيبة:
«اذهبي وكوني سعيدة، وداعاً، تذكّريني
لأنكِ تعلمين كم أحببتك

وإذا كنت قد نسيتِ
فإنني سأذكّرك بأشياء كثيرة
مكّنتنا من العيش معاً بسرور!
تلك الأطواق من زهور البنفسج الجميلة
وبراعم الورود المجدولة حول شعرك
عندما تكونين بجانبي،
وكل تلك الأطواق من الزهر
التي كانت تلتف حول عنقك الغضّ
لتزّين وجهك الجميل،
وكل تلك الأدهان العطرية النادرة
التي تليق بملكة
والتي كنت تنثرينها على إهاب جسدك الشاب
عندما كنت تجلسين بقربي
كنت تجلسين على مراتب ناعمة
تتلقين اللمسات من أيدي العذارى بهدوء
وهو أمر لم تَحْظَ به أية يونانية!
ـــ لم تكن هناك هضبة أو غدير في المنطقة بكاملها
دون أن تطأها أقدامنا،

ولم تكن هناك غابة في الربيع

تضج بأغاني العنادل

دون أن نكون قد تجولنا فيها، أنتِ وأنا»

* * *

أنشودة إلى أفروديت Hymn to Aphrodite:

«أأفروديت! أيتها الربة الحسناء المتوّجة

يا ابنة زيوس المرح

أنا أتوسل إليك

لا تلقيني في هوة القلق والسأم!

أنتِ أيتها المقدسة

تعالي إليّ الآن

وأنتِ في غاية لطفك

حيث لا ترى عيناي شيئاً

وأذناي لا تسمعان أيَّ صوت!

* * *

إن العرق البارد يتصبب من مسام جسدي بكامله

وتعتريني الرجفة،

بعد أن غدوت شاحبة كالعشب
وتوقفت عن التنفس
نتيجة الخوف الذي قرّبني من الموت

* * *

الصبايا Jeunes Filles:

«هُنَّ مثل تفاحة لذيذة الطعم
حمراء معلقة في غصن
بل في أعلى غصن بالشجرة
بعد أن نسيها القطافون
كلا! هم لم ينسوها
إنما لم يقدروا على الوصول إليها

* * *

ألا فليصعد القمر بكامل نوره
لأنَّ الصبايا هنّ الآن حول المعبد

* * *

هكذا كانت فتيات جزيرة كريت يرقصن حول معبد محبوب
والموسيقى ترافق الرقص».

* * *

في رثاء الفتاة تيماس Elegy for Timas:

«هذا الجرن الجنائزي

يضم رفاة واحدة

من البنات العذارى

اللواتي لم يتزوجن قبل وفاتهن

ورمزاً للحداد عليها

قامت الفتيات من رفيقاتها

باستخدام سكين حادة

قصصن بها خصلات شعورهن!

٥- بعض المراجع عن سافو:

1) - «The songs of sappho», translated by David. M. Robinson and Marion Mills Miller, 1925.

2) - «Sappho; the poems and Fragments» -Translated by C.R.Haines,1926.

3) - « Sappho: A new Translation» - Translated by Mary Barnard, 1958.

4) - «Sappho: Poems and fragments» - translated by Guy Davenport, 1965.

5) - « Sappho love songs» - translated by paul Roche, 1966.

6) - «The poems of Sappho» - translated by Suzy. Q.Gorden,1967.

7) - « Sappho Lyre: Archaic lyric and women poets of Ancient Greece» - translated by Diane Raynor, 1991.

* * *

رابعاً - بيليتيس التراقية (القرن السادس ق.م):

Bilitis (VI ème Siècle A.C)

مقدمـــة:

هذه الشاعرة من نوعية خاصة، أي ما يُسمى باللاتينية « sui Generis»! لماذا؟

لأن كثيراً من المؤرخين، وخاصة مؤرخي الأدب اليوناني القديم، يشككون في وجود شاعرة بهذا الاسم، ويستدلون على ذلك بأن الشاعر السوري ميلياغروس Meleagros، الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، ألف كتاباً ذكر فيه أسماء حوالي خمسين شاعراً وشاعرة، وهو الكتاب الذي يحمل عنوان «الإكليل Garland: le Bouquet» ولم يرد فيه أي ذكر للشاعرة بيليتيس.

ولكن الشاعر الفرنسي بيير لويس Pierre Louys ذكر أن أحد الآثاريين الألمان وجد قبرها على الساحل الشمالي لمصر، قرب المكان الذي توجد فيه مدينة بورسعيد حالياً.

وذكر أن هذا الآثاري وجد نصباً صغيراً إلى جانب القبر وعليه جملة قصائد باليونانية، قام هو (أي بييرلويس) بترجمتها

إلى الفرنسية تحت عنوان: «أغاني بيليتيس Les chansons de Bilitis» عام ١٨٩٤.

وقد ضمت هذه الأغاني حوالي ١٥٠ قصيدة صنفها المترجم في ثلاثة أقسام حسب الأقاليم الثلاثة التي عاشت فيها بيليتيس:

أ) – أناشيد مرحى في بامفيليا Bucoliques en Bamphilie.

ب) – رثائيات في ميتيلين Elègies à Mytilène.

ج) – قصائد غرامية في قبرص Epigrammes à Chypre.

وبالرغم من أن هذه القصائد المترجمة قد نالت استحساناً كبيراً وتُرجمت إلى ما يزيد عن عشرين لغة عالمية، فإن الشك ظل يساور النقاد ومؤرخي الأدب، وبخاصة أن النص اليوناني لقصائد بيليتيس لم يُعثر عليه حتى الآن.

وكان من المفروض استناداً إلى هذا عدم إدراج اسمها بين الشاعرات اللواتي سيضمهن هذا الكتاب لولا بعض الحقائق الجديدة التي ظهرت في هذا المجال:

- إن القصائد التي ترجمها بييرلويس إلى الفرنسية فيها روح أنثوية لا يمكن لأي رجل ولو كان شاعراً أن يتخيلها ويكتب عنها، وهذا يعني أنه كانت هناك شاعرة سواء أكان اسمها بيليتيس أو غير ذلك.

- إذا لم يكن اسمها بيليتيس يقوم احتمال كبير بأن يكون اسمها «دامو فيليا Damophylia»، ونستدل على ذلك بما كتبه «فيلوستراتوس» عنها في كتابه الموسوم: «حياة أبوللونيوس التياني The life of Appolonius of Tyane» حيث يقول: «لقد سألتموني ذاك اليوم ماذا كان اسم تلك البامفيلية التي يقال إنها كانت شريكة لسافو، وأنها كانت تؤلف أناشيد باللهجة الأيولية وتقدم أزياء بامفيلية، اعتقد البعض أنها من صنع آرتميس من بلدة بيرغو pergo؟

حسناً، إن هذه المرأة هي المسماة (داموفيليا) ، وتقول إنها جمعت عدداً من البنات في حلقة دراسية في منزلها».

- ذكر لويس أنترماير، وهو أحد مؤرخي الشعر العالمي في العصر الحاضر، اسم بيليتيس كواحدة من كبار ناظمات الشعر الإيروسي في العصر اليوناني.
- قام هوراس براون، وهو واحد من كبار مترجمي الشعر من الفرنسية إلى الإنجليزية، بترجمة «أغاني بيليتيس» التي نشرها بيير لويس في باريس ١٨٩٤ إلى الإنجليزية تحت العنوان نفسه «The songs of Bilitis».

٢ ــ رواية بييرلويس عن بيليتيس:

يقول مترجم كتاب «أغاني بيليتيس Les Chansons de Bilitis»، في مقدمة الكتاب الذي نشره في باريس تحت هذا العنوان عام ١٨٩٤، إن عالم الآثار «م.ج. هايم M.G.Heim» اكتشف في أواسط القرن التاسع عشر للميلاد قبر بيليتيس في موقع كان يسمى في عهد الرومان «بالاسيوليميسو»، وآثار هذا الموقع توجد اليوم على مقربة من مدينة بورسعيد كما أسلفنا.

ويدّعي بيير لويس في مقدمة كتابه أنه تمّ العثور قرب القبر على نصب نقشت عليه ثلاثة نصوص ذُكر فيها صراحة أن ذلك القبر للشاعرة بيليتيس، وسنكتفي هنا بذكر واحد منها وهو في الصيغة التالية:

«على شواطئ ميلاّس الداكنة
في مدينة تاماسوس من مقاطعة بامفيليا
وُلِدْتُ أنا بيليتيس ابنة داموفيلوس
وهأنذا أستريح بعيداً عن وطني كما ترى!
عندما كنت طفلة
سمعتُ بحب أدونيس وعشتار
وبأسرار سورية المقدسة وبالموت والحياة الأخرى!

إذا كنت غانية فما الخطأ في ذلك
أليست هي وظيفتي الأولى كامرأة؟
أيها العابر الغريب:
إن أمنا الطبيعة
هي التي تقود تصرفاتنا
وتجاهلها ليس أمراً محموداً!
وكعرفان بالجميل نحوك
أنتَ يا من وقفت أمام قبري،
أتمنى لك أمنية واحدة:
أن تكون محبوباً، لا أن تُحبّ أنت!
وداعاً، وتذكّر في شيخوختك
أنكَ رأيتَ قبــــري».

* * *

ومن نص هذه الشاهدة Epitaphe يظهر لنا بوضوح أنه كانت هناك شاعرة، وكان اسمها أو لقبها «بيليتيس»، وكانت ذات صلة بالحضارة السورية القديمة لأنها ذكرت «أفروديت» تحت اسم «عشتار»، وأضافت صفة القداسة إلى سورية حيث ذكرت «أسرار سورية المقدسة» في نص قصيدتها.

ويضيف بيير لويس في مقدمته لكتاب «أغاني بيليتيس» أن شَعْرَ بيليتيس كان عند إخراج الجثمان من القبر مصبوغاً باللون الأسود، وأن نوعاً من العطر كان يفوح من الجثة، وأنه وجد إلى جانبها مرآتها الشخصية وقلماً لتزجيج الحواجب، مما يدل على أن الجثة كانت لامرأة «مغناج coquette» وهذا من صفات بيليتيس في حياتها بالتأكيد!

وخلاصة القول إنَّ بيليتيس ظلت إلى منتصف القرن التاسع عشر للميلاد مجرد أسطورة، وإن كلاً من الآثاري الألماني م. ج. هايم، والأديب الفرنسي بييرلويس، والمؤرخ الأدبي الأمريكي لويس أنترماير قد جعلوا منها حقيقة واقعة في تاريخ الأدب اليوناني، ولذا اعتمدنا ذكرها في هذه الدراسة.

وعموماً، وحتى لو كانت القصة كلها من نسج خيال بيير لويس، فإنه لا يضيرنا في شيء ذكر اسمها بين أسماء شاعرات اليونان في مرحلة ما قبل الميلاد، لأن القصائد التي تحمل توقيعها تحت عنوان «أغاني بيليتيس Les Chansons de Bilitis»، وعددها حوالي ١٥٠ قصيدة، هي من أحلى وأنعم القصائد القديمة وأكثرها حرارة وصدقاً مهما كان الموضوع الذي تعالجه.

٣- حياتها الشخصية:

ولدت بيليتيس في أوائل القرن السادس قبل الميلاد في مدينة «تاماسوس» عاصمة مقاطعة «بامفيليا»، الواقعة عند سفوح جبال طوروس، من أب يوناني اسمه «دامفيليوس Damphilius» وأم فينيقية – سورية.

ولم يذكر أيّ من المصادر اسم أمها، كما إنَّها لم تذكره في قصائدها.

ولكن إذا كان اسم أمها لم يرد في قصائدها فإنه ورد ذكر مناقب هذه الأم في عدد من القصائد، وكذلك في قصيدة مستقلة، وهي جميعاً تصورها كأم رؤوم تخاف على مصلحة بناتها وتربيتهن وأخلاقهن وخاصة البنت الصغرى التي تحمل اسم بيليتيس.

ويظهر أن والد الأسرة كان قد توفي، وأنه لم يكن هناك ذكور في العائلة، ولذا حملت الأم هذه المهمة على عاتقها. ورغم أن المجتمع اليوناني القديم كان متسامحاً جداً في القضايا الأخلاقية، فإن الأم لم تكن تأمن على بيليتيس، وكانت لا تكفّ عن نصحها وتوجيهها بغية الحفاظ على عفافها، وكانت توصيها بعدم تبادل الحديث مع الشبّان، وتربط لها «زنار العفة» قبل خروجها.

ولكنّ كل هذا لم يمنع الصبية الصغيرة (بيليتيس) من الوقوع في الحب، حيث عشقت راعياً وسيماً اسمه «ليكاس Lycas»، وسرعان ما أنجبت منه غلاماً أسمته «بانيكيس»!

وبعد خطأها أو بالأحرى خطيئتها، في التفريط بعفافها، ارتكبت العاشقة الصغيرة خطأً آخر حين اعتقدت بأنها يمكن أن تُعجب حبيبها إذا تشرَّبت سلوك بنات المدينة! وهكذا أودعت طفلها الصغير لدى إحدى شقيقاتها المتزوجات (يظهر أن الأم كانت قد توفيت قبل ذلك)، وشدّتْ الرحال إلى جزيرة ليسبوس Lesbos التي كانت عاصمة الملاهي والمسرات في بلاد اليونان، وهناك قابلت الشاعرة العظيمة «سافو» التي تسميها «psappha»، وقد ذكرتها في بعض قصائدها، ويُقال إن «علاقة حب» قد ربطت بين الشاعرتين فترة من الزمن!

وفي مدينة ميتيلين، المدينة الكبرى في جزيرة ليسبوس، استقرت بيليتيس لتتعلم فنون الأدب والرقص والغناء بمصاحبة القيثارة Lyre والنقر على الدف والنفخ بالمزمار Flute.. ولكنها لم تتعلم هذه المهارات فقط وإنما تعلمت معها فنون الحب وكيفية إغواء العشاق وإرضائهم، سواء أكان هؤلاء العشاق من الرجال أو من بنات جنسها!

وهي بالحقيقة لم تكتم حبّها هذا بل تتغنى به، وخاصة حبها لخدينتها «مناسيديكا Mansidika»، حيث تُقر بعمق العلاقة

بينهما (على الأقل من ناحية بيليتيس) في قصيدة صريحة تحمل العنوان التالي بالفرنسية:

«الماضي الذي يدوم Le passé qui survit» والتي تقول فيها:

«سأترك السرير على الصورة التي غادرتهِ بها
مُشوّشاً وفي حالة فوضى
لكي أحفظ عليه بصماتِ جسدكِ
إلى جانب جسدي!
سوف لن أستحم قبل يوم غد
وسوف لن أرتدي أية ثياب
ولن أمشّط شعري
خيفة من محو آثار مداعباتك!
سوف لن أتناول طعاماً هذا الصباح
ولا هذا المساء.
وعلى شفتيّ لن أضع أية حمرة أو ذرور
لكي تبقى عليهما آثار قبلتك!
سأترك مصاريع النوافذ مغلقة
ولن أفتح الباب،
لكي لا تذهب الذكرى مع الريح»

* * *

عموماً فإن هذه القصيدة ليست هي الوحيدة التي تقر بيليتس فيها بعلاقتها بخدينتها «مناسيديكا»، حيث نجد هناك في ديوانها الذي يضم مائة وخمسين قصيدة حوالي عشرين قصيدة فيها ذكر لمثل هذه العلاقة تصريحاً أو تلميحاً.

- وبعد إقامة حوالي عشر سنوات في جزيرة ليسبوس كانت المعلمة «سافو» قد توفيت عام ٥٥٩ ق.م، وكانت «مناسيديكا» قد هجرت «بيليتيس» إثر خصام نشب بينهما، فصمَّمت هذه الأخيرة على الرحيل من ليسبوس والعودة إلى وطنها بامفيليا، ولكن القدر سدَّد لها ضربة جديدة حيث جنحت السفينة التي ركبتها إلى جزيرة قبرص ورمتها فيها دون متاع أو مال، وهذا ما أجبرها على ممارسة الحب المأجور (البغاء) لكي تعيش!

وفي قبرص حاولت بيليتيس أن تتأقلم مع حياتها الجديدة، وعندما يئست من إمكانية العودة إلى مقاطعة بامفيليا وحبيبها «ليكاس» هناك، وقعت في حب جديد، بشاب قبرصي وسيم اسمه «تيلياس Teleas»، وصاغت في حبها له «أغنية chanson» رائعة تقول فيها:

«أعطاني (المعجب) الأول عقداً من اللؤلؤ
يَعْدُلُ مدينة بأسرها

بقصورها ومعبدها وعبيدها وكنوزها.
ونظم الثاني في جمالي ديواناً من الشعر
قال فيه إنّ شَعْري يشبه الليل في سواده
وإن عينيَّ أصفى زرقة من السماء عند الصباح!
والثالث كان من الجمال
إلى الحدّ الذي يجعل وجنتي أمه تحمران خجلاً
عندما كانت تُقبّله
لِفَرْط وسامته
ولكن هذا الفتى الوسيم كان يجثو أمامي
واضعاً يده على ساقي
وشفتيه على قدمي العارية!
أما أنت، أما أنت يا حبيبي، فلم تقل لي شيئاً،
ولم تُعطني شيئاً، لأنك فقير الحال
ولست جميل الشكل
ولكنْ هو أنت، أنتَ الذي أحبُّ»

* * *

وبما أن حبيبها الجديد هذا كان فقير الحال، وعاطلاً عن العمل، فإنها كانت تمارس البغاء في مدينة «بافوس Paphos» القبرصية لكي تصرف عليه وعلى نفسها وعلى خادمتها الفريجية.

وفي هذه الفترة القبرصية من حياتها بدأت بيليتيس تعاني من مشكلتين عاطفيتين جديدتين:

- الأولى هي أنها بدأت تشعر بذبول جمالها شيئاً فشيئاً، بالرغم من أنها لم تكن قد بلغت الأربعين بعد.
- والثانية هي أن حبيبها القبرصي بدأ يتملص من وعوده لها، ويتأخر في لقاءاته بها، وقد هدّدها في ساعة غضب بأنه سيهاجر من قبرص إلى مصر!

وحاولت هي وصل ما انقطع، وإقناعه بالبقاء معها في قبرص، ضمن عدة رسائل كتبتها له، وكان منها قصيدة كتبتها تحت ذات العنوان «رسالة Une Lettre»، تستعطفه فيها وتتوسل إليه البقاء في قبرص لأن هجره لها سيدمرها، حيث أنهت الرسالة بقولها: «إنّ حياتي بكاملها تتعلق بجوابك»!

- ولكن نداء بيليتيس هذا لحبيبها القبرصي لم يلق أي استجابة، حيث نفَّذ تهديده ورحل عن جزيرة قبرص إلى مصر تاركاً صاحبته طائشة اللب مسلوبة الفؤاد حائرة كيف تفعل بحياتها المُقبلة!

وزاد في أزمتها النفسية أن عُشّاق سريرها باتوا قلائل، حيث أصبحت تقضي أمسية بكاملها انتظاراً لزيارة واحد منهم، بعد أن كانوا يتزاحمون بالعشرات على باب منزلها كل مساء، وكما وصفت هي الوضع أفضل وصف في إحدى قصائدها حين قالت:

«الشبان الصغار يمرّون بي دون أن يُعيروني أي اهتمام، والكهول قد نسوني حتماً».

وبدلاً من أن تنتظر عشاقها في منزلها أصبحت تخرج إلى الشارع بحثاً عن واحد منهم، ونلمس هذا من خلال قصيدتها التي تحمل عنواناً معبِّراً هو «العاشق الأخير Le Dernier Amant»، وهاهي ترجمتها إلى العربية:

«أيها الفتى الجميل

لاتمرّ بي دون أن تمنحني حبك

فأنا ما زلت جميلة في الليل،

وسوف ترى بنفسك أن خريفي

أدفأ من ربيع أية امرأة أخرى!

لا تفتش عن حُبّ العذارى

لأنّ الحب فنّ صعب

والفتيات الشابات لا يعرفن الكثير في هذا المجال

أما أنا فأمضيت حياتي بكاملها في تعلّم هذا الفن
لكي أقدم ذلك للعاشق الأخير
وأعلم أنه سيكون أنتَ!
هاهما شفتاي اللتان أورثتا
الرغبة الظامئة لشعب بأسره
وها هو شعري الذي تغنّت به الشاعرة العظيمة سافو
سأمنح لكَ كل هذا
وكل ما تبقى لي من شبابي الضائع».

* * *

ولكنَّ كل هذا لم ينفع في إزالة حالة الإحباط التي كانت الشاعرة العاشقة تعاني منها، فقررت أن تشد الرحال إلى مصر، لعلها تجتمع بحبيبها القبرصي «تيلياس»، وهكذا ذهبت إلى مقر إقامتها الرابع والأخير، وهو شواطئ مصر الشمالية، في الموقع الذي كان يسمى «بالاسيو – ليميسو»، على مقربة من المكان الذي تقوم فيه مدينة بورسعيد حالياً.

وعندما لم تتمكن بيليتيس من العثور على حبيبها توقفت عن كل شيء: توقفت عن المتاجرة بجسدها المتعب بعد أن أصبح عمرها خمس ثمانيات (أي أربعين عاماً)، وتوقفت عن الحب، وتوقفت عن قرض الشعر في الوقت نفسه، كما توقفت عن إرادة

العيش، لأنه لم يعد لديها أي أمل في العودة إلى حياة نظيفة وشريفة وذات معنى، وأصبحت في حكم الميتة، بل إنها نظمت في تلك الفترة، وقبل أن تعتزل النظم، قصيدة تصف فيها حالتها النفسية من جراء انصراف الأحباب والعشاق عنها، وهي بعنوان «مطر الصباح Le Pluie du Matin» وتقول فيها:

«هاهو الليل يمضي
والنجوم تبتعد (تنطفئ) شيئاً فشيئاً
وهاهي أسراب الغانيات الأخيرات
يَعُدن إلى منازلهن برفقة عُشّاقهن
بينما أكتب أنا هذه الأبيات
تحت رذاذ مطر الصباح وأحفرها على الرمل!
هاهي أوراق الشجر اللامعة المُحمّلة بالماء
وهاهي السواقي تجري في الممرات الضيقة
حاملة معها الوحل والأوراق الميتة.
قطرات المطر الهاطل
بدأت تحدث ثقوباً في أغنيتي (التي كتبتها على الرمل).
آه كم أنا حزينة ووحيدة
إن الشبان لا ينظرون إليَّ
والرجال الأكبر سناً قد نَسُوني!

حسناً، إنهم سيتعلمون أشعاري
وكذلك سيفعل أبناؤهم، وأبناء أبنائهم»

وعندما شعرت بيليتيس أنها لم تعد محبوبة ولم يعد بوسعها أن تحب كان ذلك بمثابة الموت لها، الذي عبرت عنه في القصيدة الأخيرة التي كتبتها، والتي تحمل عنوان «الموت الحقيقي: la mort véritable» وتقول فيها:

«أيْ أفروديت
أيتها الربة التي لا ترحم
لقد أردتِ ألا يدوم لي شبابي السعيد
وأن يتقصف شعري الأسود في عدة أيام
دون أن أموت تماماً!
لقد تطلعت في مرآتي فَفَقَدْتُ ابتسامتي ودموعي!
أيها الوجه الذي كانت تحبه مناسيديكا
لا أصدق اليوم أنكَ كنت وجهي
هل يمكن أن يكون كلُّ شيء قد انتهى بالنسبة لي،
أنا التي لم أعش خمس ثمانيات بعد؟!
يخيّل لي أني ولدت البارحة
ولكن علي أن أعترف وأقول:

لم أعد امرأة محبوبة.
لقد قصصت كلَّ شعري
ولففته حوالي إزاري الأنثوي
وها أنا أهديهما لكِ يا كيبريس الأبدية
لأني لا أزال أعبدك
وهذا آخر بيت شعر تكتبه
الورعة بيليتيس»

* * *

وهكذا انتهت حياة بيليتيس «شاعرة الحب الخالدة» التي عاشت للحب وماتت من الحب، وتغنّت طيلة حياتها بالحب: حب ابنها (بانيكس)، حب أترابها في ميعة الصبا، حبّ عشيرها الأول (ليكاس)، حبّ الرجال بشكل عام، حب خَديناتها وخاصة سافو ومناسيديكا، حب مسقط رأسها، مقاطعة بامفيليا التي حاولت في آخر حياتها (القصيرة نسبياً) العودة إليها دون جدوى.

وإذا كانت ميول بيليتيس العاطفية والجنسية «غير ملتزمة» تماماً، وإذا كانت قد امتهنت البغاء في مرحلة من مراحل حياتها، فيجب أن لا ننسى أنها كانت تعيش في مكان غير مكاننا، وزمان غير زماننا، وفي ظروف معينة قد تختلف عن الظروف التي نعيش فيها نحن.

٤- أهم المراجع عن بيليتيس:

1) – Pierre louys «les Chansous de Bilitis» - paris 1895.

2) - «Six chansoms de Bilitis» - Traduites en vers par Mme jean Bertesoy – Revue pour les jeunes filles- Armand colin – paris 1896.

3) - «The songs of Bilits» By Williamobitz – Gottingen 1896.

4) – http/www. Sacred texts. Com/cla/sob.

٥) – علي محمود طه «حب وحرب» – القاهرة – ١٩٥٠.

خامساً - إيرينا الديّلُوسيّة (القرن الرابع قبل الميلاد)

Erinna (IVeme Siecle A.C)

مقدمـــة:

شاعرة هيلينستية (يونانية – مشرقية) مُجيدة، بدأت النظم في الخامسة عشرة من عمرها، وتوفيت شابة في التاسعة عشرة حسبما يؤكد «أوستات Eustathe»!

رثاها الشاعر آسكليبيا «Asclepiade» بقصيدة يقول فيها:

«هاهي مؤلفات إيرينا الممتعة
إنها ليست ضخمة في الحجم
لأنها نتاج فتاة في التاسعة عشرة من عمرها فقط
ولكن لها من قوة البيان ما يتفوق على الكثيرين.
تُرى من كان بوسعه
أن يصبح أكثر شهرة منها في نظم الشعر
لو لم يختطفها الموت منا بمثل هذه السرعة»؟!

ووصفها الشاعر المعاصر لها، ليونيداس التارانتي، بأنها «نحلة شابة تصنع العسل»!

ورثاها من معاصريها، ومن الشعراء الذين جاءوا بعدها، عدد من المشاهير من أمثال ميلياغروس الغَدَري، وأنتيباتروس الصيداني وغيرهما.

وهذه الشهادات ليست جميع ما قيل في إيرينا وشعرها ولكنها في المحصلة تُجمِع على أربعة أمور:

أ - إن شعرها كان حديثاً وعذباً ومؤثراً.

ب- إن نتاجها كان قليلاً من حيث الحجم.

ج- إنها ماتت في سن الشباب.

د - إنها كانت ستصبح شاعرة كبيرة لو أنها عاشت مدة أطول.

٢- قصائدها:

لم تكتب إيرينا خلال حياتها القصيرة (١٩) عاماً إلا سبع قصائد، ولم يصلنا من هذه القصائد كاملاً إلا قصيدة واحدة هي «المغزل»، وهي قصيدة فلسفية حول عبثية الموت، إذ إنّه كلما انقطع خيط في هذا المغزل تغادرنا روح من الحياة الدنيا إلى «هاديس».

لذا وجدنا من الأفضل أن نختار قصيدة أخرى لها أقرب إلى قصائد الحب (حب الحياة على الأقل) وهي قصيدة تتحدث عن موت الفتاة «بوسيس Baucis» في ذات اليوم الذي كان من المفترض أن يتم حفل زفافها إلى عريسها، وهي إلى حد ما قصة الشاعرة إيرينا نفسها:

عنوان القصيدة «إلى عروسة شابة A Une Jeune Mariée»
وهاهو نصُّها:

«أنا قبر العروس الشابة بوسيس
إذا مررتَ أيها العابر من هنا
قربَ هذا النصبْ (الضريح)
الذي ترويه دموع غزيرة
فقل لهاديس، ربّ العالم السفلي:
(إنك غيور يا هاديس)!
وإذا نظرت إلى الرموز الجميلة،
المرسومة على قبري
فإنها ستعلمُك بالمصير المأساوي
الذي كان من نصيب بوسيس،
وكيف أن حَمَاها (والد خطيبها)
أحرق على الحطب جثمان هذه الصبية،
وهو نفس الحطب الذي كان معدّاً
ليكون مشاعل زفافها!
وأنت يا حفل الزفاف
لقد بدَّلت أغنية العرس الجميلة
إلى صرخات حزن باكية»

* * *

والجدير بالملاحظة هنا هو أن هذا النص الذي نظمته إيرينا كتبته خصيصاً لرفيقتها المتوفاة «بوسيس» لكي يُنقش على شاهدة قبرها.

حيث نجد نص قصيدة أخرى حول نفس الموضوع تقول:

«أيتها الأنصاب، وأنتنّ يا نافخات الأبواق

وأنت أيها الجرن الجنائزي

الذي لا يحوي إلا نسمة من رفاة الموتى

قدموا تحية الصداقة

إلى أولئك الذين يمرون قرب ضريحي

سواء أكانوا من أبناء وطني أو من بلد آخر.

قولوا لهم أيضاً إنَّ هذا القبر

يضمُّ رفاة عروس شابة

هي أنا بوسيس كما سمّاني أبي

وليعلموا بأني من جزيرة تينوس Tenos

وأن الشاعرة إيرينا رفيقتي

هي التي نظمت هذه الكلمات

لتكون شاهدة على قبري»

سادساً - شاعرة سنْسكريتية مجهولة:

عاشت هذه الشاعرة في الهند، خلال القرن الرابع بعد الميلاد، وكتبت باللغة السنسكريتية حول «عدم ديمومة الحب» قصيدة ترجمتها باللغة الإنكليزية كما يلي:

«In former days we´ d both agree
That I was you and you were me
What has now happened to us two
That you are you
And I am me?»

والمعنى بالعربية:

«في سالف الأيام اتفقنا كلانا
أنتَ وأنا
على أن تكون أنتَ كما أنا
وعلى أن أكون أنا كما أنت،
فماذا حدث لنا نحن الاثنين
لكي أعود أنا كما أنا
وتعود أنت كما أنت؟!»

الفصل الثاني

شاعرات العصور الوسطى

٥٠١ حتى ١٥٠٠م

مقدمـــة:

تواضعَ المؤرخون على اعتبار عام ٤٧٦م (وهو تاريخ سقوط روما تحت احتلال القبائل المغولية) نهاية للعصور القديمة وبداية للعصور الوسطى. ولكن من المعروف بالمقابل، أنّ العصور التاريخية لا يصح تحديد تاريخ بدايتها أو نهايتها بسنة معينة، ولذلك ارتأينا أن نجعل بدايتها مع بداية القرن السادس للميلاد (٥٠١م)، ونهايتها مع نهاية القرن الخامس عشر (١٥٠٠م).

وخلال مرحلة العصور الوسطى هذه تراجع تأثير روما في ميزان الحضارة، وظهر تأثير الإسلام وتنامى وبخاصّةٍ في بلاد الأندلس التي امتزجت فيها ثلاث حضارات: الحضارة العربية

الإسلامية القادمة من المشرق، والحضارة المغاربية التي قدمت من بلدان المغرب (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، وحضارة السكان المسيحيين الأصليين، فأنتج هذا المزيج تقدماً رائعاً في مختلف جوانب الحضارة ومنها الشعر في جميع صنوفه.

وسنحاول فيما يلي ذكر أسماء بعض الشواعر اللواتي عشن خلال هذه الفترة، سواء أكنَّ من الأروام أم من العرب.

أولاً - ليلى العامرية:

حبيبة قيس بن الملوح الذي أحبها لدرجة الجنون فعُرف باسم «مجنون ليلى»، بل نادته حتى هي بهذا الوصف كما يظهر من شعرها فيه.

ويظهر أن الحب بينهما لم يكن من طرف واحد، بل كان متبادلاً إلى حد يمكن به تشبيههما بعشاق العالم المعروفين مثل هيلوابيز وأبيلار في فرنسا، وروميو وجولييت، في إيطاليا وعطيل وديدمونة في بقية أقطار العالم، والدليل على ذلك هو هذه الأبيات التي نظمتها ليلى وتعترف بها صراحة بحبها لقيس كحبه لها، مع فارق واحد هو أنه جهر بحبه بينما آثرت هي – حسب طبيعة الأنثى – الكتمان:

لم يكن المجنــون فــي حالــةٍ إلا وقـــد كنـــتُ كمـــا كانـــا
لكنـــه بـــاحَ بـــسرِّ الهـــوى وإننـــي قـــد ذبـــت كتمانـــا

* * *

بـــاح مجنـــون عـــامر بهـــواه وكتمتُ الهوى فمتُّ في وجدي
فإذا كان فـــي القيامـــة نـــودي من قتيل الهوى؟ تقدّمتُ وحدي

وأسرار اللواحظ ليس تخفى وقد تُغري بذي الخطأ الطنون
وكيف يفوت هذي الناسَ شيءٌ وما في النفس تُظْهِره العيون!

وقالت في مخاطبة حبيبها قيس:

نفسي فداك لو نفــسي ملكــتُ ماكان غيركَ يُحزنُها ويرضيها
صبراً على ما قضاه الله فيــكَ مرارة في اصطباري عنكَ أُخفيها

* * *

كلانا مُظهــرٌ للنـــاس بغـضاً وكـــلٌ عنـــد صـــاحبه مكـــينُ
تبلِّغنـــا العيـــون بمـــا أَرَدْنـــا وفي القلبين ثَمَّ هـــوى مبـــين

* * *

ثانياً - رابعة بنت إسماعيل العدوية:

شاعرة ومغنية بدأت حياتها ساقية في حانة بمدينة البصرة، ثم تابت في آخر حياتها وأصبحت شاعرة صوفية تتغنى بحب الله وحده.

من شعرها في الحب الحسيّ:

إنيِّ جعلتك في الفؤاد محــدّثي وأبحْـــتُ جـــسمي مـــن أراد

* * *

فالجسمُ مني للجليس مــؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

* * *

حبيب لـــيس يعدُلُــه حبيــب   وما لسواه في قلبي نـــصيبُ
حبيبٌ غـــاب عـــن بـــصري   ولكن في فؤادي مـــا يغيـــب

من شعرها في الحب الصوفي (الإلهي):

أحبّك حُبّــين حُــبَّ الهــوى   وحبّــاً لأنــكَ أهــل لــذاكا
فأمّا الذي هو حــبُّ الهــوى   فشغلي بذكركَ عمّنْ ســواكا
وأمّا الذي أنــتَ أهــل لــه   فكشفُك في الحجْب حتى أراكا
فلا الحمْدُ في ذا ولا ذاكَ لي   ولكن لكَ الحمدُ في ذا وذاكا

* * *

ثالثاً - عُليَّة بنت المهدي (٧٧٦م – ٨٢٥م):

– علية بنت المهدي بن أبي جعفر المنصور:

هي حفيدة خليفة، وابنة خليفة، وشقيقة خليفة: حفيدة الخليفة أبي جعفر المنصور، وابنة الخليفة المهدي، وشقيقة الخليفة هارون الرشيد.

ولدت عام ١٦٠ هـــ (٧٧٦م)، وأمها جارية اسمها مكنونة، وتوفيت عام ٢١٠ هـــ (٨٢٥م) قبل أن تكمل الخمسين من عمرها.

وصفها من ترجم لها بأنها كانت من أجمل النساء، ولكن كان لها فضل سعة في جبينها (أي أن جبينها كان واسعاً قليلاً)،

فاتخذت العصائب المكللة بالجواهر لِتِسْتُرَ بها هذا العيب، فأحدثت شيئاً ما رؤي فيما ابتدعته النساء أو أَحْدَثَتُهُ أحسن منه!

وكانت تكاد تجمع النقيضين في شخصها، فهي عفيفة متدينة في أيام معينة من الشهر (أيام طهرها من العادة)، وهي ميّالة إلى الشرب واللهو وقرض الشعر وتلحينه وغنائه في أيام أخرى منه (أيام العادة الشهرية).

وبالرغم من أنها كانت على ذمة رجل من أبناء عمها وهو والي الكوفة موسى بن عيسى العباسي، فإنها كانت معجبة بعدة غلمان من خدم أخيها هارون الرشيد، ولو أن هذا الإعجاب كان لا يتعدى الغزل البريء والمراسلات الشعرية!

ونغتنم هنا الفرصة لنقول إن قصة علاقتها بالوزير جعفر البرمكي هي قصة مختلفة غايتها الإيهام بأن هذه العلاقة هي التي أدّت إلى نكبة البرامكة وليس مكائدهم ودسائسهم السياسية!

ونعتقد هنا أنه إذا كان لهذه القصة من أساس فهي تنطبق على «العباسة أخت الرشيد» لا على عُليّة، وأن هذين الاسمين هما لشقيقتين للرشيد وليس الاسمان لشقيقة واحدة كما يعتقد البعض.

وكل ما في الأمر أن عليّة كانت تشكو فراغاً عاطفياً لكونها معزولة في القصر، وبعيدة عن زوجها الذي كان والياً على

الكوفة، ولهذا كانت تتسلى ببعض العلاقات العاطفية العابرة مع غلمان القصر عبر المساجلات الشعرية معهم.

والحقيقة أن الأمر كان يتعدى أحياناً حدود البراءة ويدخل في خانة «الشقاوة»، كما حدث عندما فصل الرشيد بينها وبين أحد غلمانه المدعو «طَلْ» ومنعهما من لقاء بعضهما، فصمّمت عليّة على تسلّق ميزاب البناء للدخول إلى طلْ من النافذة، فقالت بعدئذ تُذكّره بهذه المخاطرة التي قامت بها:

قد كان ما كلّفْتُهُ زمناً يا طلُّ من وَجْدٍ بكم يكفي
حتى أتيتك زائراً عجلاً أمشي على حتفٍ إلى حتفي

وحفاظاً على سمعتها الشخصية وسمعة أخيها الرشيد كانت علية تستخدم أسماء إناث للغلمان الذي تتغزل بهم في قصائدها، فهاهو أحدهم تناديه باسم «زينب» وفيه نظمت القصيدة التالية:

أضحى الفؤاد بزينبا صبّاً كئيباً متعباً
أصبحْتُ من كَلَفي بها أدعى سقيماً منصبا
ولقد كَنَيْتُ عن اسمها عمداً لكي لا تغضبا
فجعلت زينبَ سترةً وكتمتُ أمراً معجبا
قالت لقد عز الوصالُ ولم أجدْ لي مذهبا
والله لا نلتَ المودّة لو تنال الكوكبا

وكانت تكتم اسم حبيبها الحقيقي – إذا وجد – وتناديه دوماً بأسماء مستعارة (طلٌّ – رشا – زينب..)، وعندما سُئِلت عن سبب ذلك قالت:

كتمت اسم الحبيب عن العبـاد   وردّت الصبابة فـي فـؤادي

فوا شوقي إلـى أيـام حلـي   لعلّي باسم من أهـوى أنـادي

ومن أقوالها في الفتى (ريَبْ) مثلاً:

القلـب مـشتاق إلـى ريـب   يا ربٌّ، ما هـذا مـن العيـب

لقد تيَّمتْ قلبي فلـم أسـتطع   إلا البكـا، يـا عـالم الغيـب

خبَّأت في شعري اسـم الـذي   أردته كالخـبء فـي الجيـب

ويظهر أن عُليّة كانت تجد بعض السلوى وإرضاء النزعة الأنثوية في هذه «الغراميات الصغيرة Les Amourettes»، التي كانت تعيشها في قصر أخيها هارون الرشيد ببغداد، حيث كانت لا تطيق البعد عن العاصمة العباسية، فعندما خرج الرشيد إلى بلاد الرّي اصطحبها معه فلما وصلت القافلة إلى موقع يقال له «المرج» – وهو على التخوم بين بلاد العرب والعجم – حَنتْ إلى العاصمة ومباهجها، فأنشدت تقول:

ومغتـرب بـالمرج يبكـي   وقد غاب عنه المسعدون على الحب

إذا ما أتاه الركب من نحو أرضهم   تنشَّقَ يستشفي برائحة الركـب

فلما سمع الرشيد هذين البيتين – وهما من أبدع ما قيل في شعر الحنين – أدرك أنها مشتاقة إلى بغداد وأهلها فأمر بردها إلى هناك.

- رأيها في الحب:

حسب رأي علية، الذي نستخلصه من أشعارها، أنه من النادر أن يقوم الحبّ على العدل، إذ لا بد من أن يكون هناك غالب ومغلوب، بل وظالم ومظلوم، في العلاقة العاطفية أو الزوجية، وهي تقول في ذلك:

بُني الحبُّ على الجورْ فلوْ أنصفَ المعشوقُ فيه لسمج
ليس يستحسن في حكم الهوى عاشق يُحسن تأليف الحجج
وقليلُ الحب صرفاً خالصاً هو خيرٌ من كثير قد مُزج

ولها في هذا المعنى نفسه تقريباً:

تحبَّب فإن الحبَّ داعية الحب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبصَّر فإن حُدِّثتَ أنَّ أخا هوى نجا سالماً، فادع النجاة إلى الربّ
وأطيب أيام الفتى يومهُ الذي يروّع بالهجران فيه وبالعتب
إذا لم يكن في الحب سخط ولا فأين حلاوات الرسائل والكُتْبِ؟!

- التلحين والغناء:

كانت عُلية لا تكتفي بنظم الشعر، بل إنها كانت تلحن قصائدها وتغنيها أحياناً، وهاهي شهادة بحقها من إحدى مطربات ذلك العصر، وهي الجارية المغنية «عريب» حيث تقول هذه في فن عُلية وصوتها:

«أحسن يوم مرّ بي في الدنيا وأطيب يوم، هو اليوم الذي اجتمعتُ مع إبراهيم بن المهدي وأخته علية ومعهما أخوهما يعقوب، وكان من أحذق الناس في نفخ الزمر، فبدأت علية وغنتهم من صنعتها في شعرها، ويعقوب يزمّر لها:

لم ينسنيك سرورٌ لا ولا حَــزَنُ ... وكيف لا، كيف يُنسى وجهُكَ الحسنُ

ولا خلا منك لا قلبي ولا جسدي ... كُلِّي بكُلِّكَ مــشغولٌ ومُــرتَهنُ

وحيدة الحزن مالي عنكَ من كلفٍ ... نفسي بحبك إلا الهمَّ والحــزنُ

نور توّلد من شمس ومن قمرٍ ... حتى تكامل فيه الروح والبــدنُ

وروي عن الحاضرين والسامعين أنهم قالوا:

«لم يُرَ في الجاهلية والإسلام أخٌ وأختٌ أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته علية».

وقبل إنهاء كلامنا عن علية يستحسن أن ننوه بأن شعرها لم يكن كله من قبيل الغزل أو الحنين، وإنما نظمت في الرثاء وفي

الهجاء أحياناً، ولعلّ أظرف ما قالته في الهجاء هو هذه الأبيات الثلاثة في هجو جارية لأم جعفر، زوجة الرشيد، اسمها «طغيان»:

لطغيان خُفٌّ مُذْ ثلاثين حجّــة جديد فــلا يبْلــى ولا يتمــزّقُ

وكيف بلا خُفٌّ هو الدهر كلـــه على قدميها في الهواء معلــق

فما أخرقت خفاً ولم تبل جورباً وأمـــا ســـراويلها فَتمَــزَّقُ

- الميزات العامة لشعرها:

شعر علية شعر خفيف، يتمتع بروح الدعابة وكلماته جميعاً من السهل الدارج، وكل ذلك يجعله شعراً يمكن قراءته وفهمه والاستمتاع بسماعه من قبل الجميع.

ولكن علية لم تكن تتمتع بقدرة شعرية طويلة النفس – إذا صح التعبير – فجميع قصائدها يتراوح طولها بين بيتين وسبعة أبيات لا أكثر، ونعتقد جازمين بأنها لم تكن قادرة على نظم قصائد أطول من ذلك.

وهي تذكّرنا بالقصائد اليونانية التي سادت في المرحلة الهيلينستية، أي بين القرنين الرابع والأول قبل الميلاد، التي كانت تسمى «إبيجرامات Epigrammes» والتي تشكل جانباً من جوانب «الشعر الغنائي Poésie Lyrique: Lyric Poetry».

وأخيراً نقول إنه إذا جاز تشبيه علية بشاعرة أخرى فإننا نرى كثيراً من أوجه التشابه بينها وبين الشاعرة الأندلسية ولادة بنت المستكفي من حيث عراقة الأصل، والشعر الغرامي المليء بالدعابة.

* * *

رابعاً - خديجة بنت المأمون:

بنت الخليفة العباسي المأمون، وحفيدة هارون الرشيد، عاشت في القرن الثالث الهجري (التاسع للميلاد).

كانت أديبة وشاعرة غزلية، امتزج غزلها بالظرف والرقة، وأحلى قصيدة لها هي التالية التي تتغنى فيها بخادم كان يعمل عند أبيها المأمون:

بالله قولوا لي لِمنْ ذا الرشا — المثقلُ الردف الهضيم الحشا

أظرف ما كان إذا ما صحا — وأملحُ الناس إذا ما انتشى

وقد بنى بُرْجَ حمام له — أرسل منه طائراً مُرْعِشاً

يا ليتني كنت حماماً له — أو باشقاً يفعل بي مايَشا

لو لبس القوهيَّ من رقةٍ — أوجعه القوهيُّ أو خدشا

ويروى أنَّ إحدى جواري الخليفة المتوكل غنّته هذا الشعر، فسألها عن مصدره، فترددت أولاً ثم أجابته بأنها سمعته في دار المأمون دون أن تدري لمن هو!

وصممّ المتوكل على معرفة القائل فسأل المغنية الشهيرة «مُلْحة» عن القائل فردّت: «أنا علم الناس به»، فقال: «لمن هو يا ملح»؟ فقالت: «الشعر والغناء جميعاً لخديجة بنت المأمون، قالته في خادم لأبيها كانت تهواه»، فأطرق المتوكل قليلاً ثم قال: «ألا لا يسمعن هذا منكِ أحد»!.

*   *   *

خامساً - سلمى البغدادية بنت القراطيسي:

شاعرة بغدادية من العصر العباسي الوسيط، من أكثر الشواعر نرجسية، حيث إن أغلب قصائدها – وهي قليلة – تصف فيها جمال جسدها بصورة تقرّبها من جمال عشتار أو أفروديت، وقد انتقينا من جملة قصائدها القصيدة التالية التي تتغزل فيها بنفسها:

عيون مها الصريم فداء عيني ... وأجياد الظباء فداء جيدي

أُزيَّن بالعقود وإنَّ نحري ... لأزينُ للعقود من العقود

ولا أشكو من الأوصاب ثقلاً ... وتشكو قامتي ثقل النهود

ولو جاورتُ في بلد ثموداً ... لما نزل العذاب على ثمود

ويقال إن الخليفة العباسي المقتفي لدين الله عندما سمع بأمر هذه الأبيات وتدبَّر معانيها، أرسل رسلاً من قبله إلى الجهة التي كانت

تسكن فيها سلمى وقال لهم: «اسألوا هل تصدق صنعتها»، فردوا عليه: «ما يكون أجمل منها»، فسألهم من جديد: «وماذا عن عفافها؟»، فردوا عليه: «هي أعفُ الناس»، فأرسل لها مالاً وفيراً وقال لرسله: «تستعين به على صيانة جمالها» وهذا ما كان.

* * *

سادساً - ولاّدة بنت المستكفي:

إذا استعرضنا موسوعات «شعراء العالم» الأجنبية فإننا لا نكاد نجد فيها إلا اسماً عربياً واحداً هو «ولادة بنت المستكفي» فمن هي هذه الشاعرة؟

أبوها هو الخليفة محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر لدين الله، الشهير بالمستكفي الذي بايعه أهل قرطبة خليفة عليهم بعد أن خلعوا الخليفة المستظهر عام ٤١٤ هـ (١٠٢٣م).

أما والدتها فهي «سكرى المورية»، وهي ليست عربية قطعاً، ولكن المؤرخين اختلفوا بين نسبتها إلى البربر أو إلى الأندلسيين الأصليين!

وكان الخليفة المستكفي سكيراً وجاهلاً، وكانت أمها خبيثة شريرة، وقد وصل الأب إلى الخلافة وولادة في باكورة أيام

المراهقة (١٤ عاماً)، لذا لم يكن غريباً أن تمتلئ بالزهو والغرور.

كما أن الثورات والفتن الداخلية التي عمّت قرطبة في زمن المستكفي جعلت ابنته تميل إلى تحدّي المجتمع والاستهتار به وخرق تقاليده، ولهذا لم يكن غريباً أن يدفعها الغرور إلى أن تكتب على ردن ثوبها الأيمن:

أنـــا والله أصـــلحُ للمعـــالي وأمشي مشيتي وأتيـــهُ تيهـــا

وأن تكتب على الردن الأيسر بالمقابل:

وأُمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي مـــن يـــشتهيها!

والغريب أن يكتب عنها كثير من المؤرخين أوصافاً ثقافية وخلفية طيبة وذات عفاف، حيث قال عنها المقرّي صاحب «نفح الطيب» إنها كانت «حَسَنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة»، كما قال عنها ابن بشكوال في «الصلة» إنها «كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر، وكانت تناضل الشعراء وتفوق الأدباء».

وقال صاحب «المُغْرب» عنها «إنها في الغرب مثل عُلية في الشرق، إلا أن هذه تزيد بمزية الحسن الفائق، وأما الأدب والشعر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها، وكانت لها صنعة في الغناء وإنشاد الشعر».

ودافع عنها صاحبها الشاعر ابن زيدون، وقال مخاطباً غريمه في حبها ابن عبدوس:

وغـــرّك مـــن عهـــد ولادة سراب تراءى وبـــرقٌ وَمَـــضْ

هي المَا يعــزّ علـــى قـــابض ويمنع زبدتـــه مـــن مخــضْ..

ولكن ولادة لم ترْعَ عهد ابن زيدون هذا، وقلبت له ظهر المجن، وصاحبت غريمه ابن عبدوس، حين حدثت نكبة ابن زيدون وهَرَبَ من قرطبة إلى الزهراء، ولم تشفع له قصيدته التي أرسلها إليها، والتي تبدأ بالشطر المشهور: «إني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً». وهذا ما أجبر المدافعين عنها، لتبرير غرابة سلوكها فقال هؤلاء: «إنها اطّرحت التحصيل وأوجدت إلى القول فيها السبيل بقلة لامبالاتها ومجاهرتها بلذّاتها».

- مجلسها:

كان المؤرخون مختلفين حول أخلاقيات ولاّدة بين قائل إنها «كانت شريفة عفيفة، بنت عز وكرم»، وبين نفر آخر اتهمها بالانحلال الخلقي، بل إنَّ بعضهم ألحق بها تهمة «المثلية الجنسية» بعلاقتها المشبوهة بخادمتها «مهجة»!

نقول إنه إذا كان المؤرخون مختلفين حول النقطة السالفة الذكر، فإنهم كانوا متفقين تماماً على سعة ثقافتها وانفتاحها على الآخرين، وعلى فائدة «المجلس الأدبي» الذي افتتحته في

قصرها فكان مجمعاً للشعراء والأدباء في ذلك العصر (القرن الخامس الهجري).

ومما يقوله صاحب «نفح الطيب» في وصف هذا المجلس:«كان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والشعر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غُرّتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب وطهارة أثواب».

وهكذا غطى «المجلس الأدبي» الذي أدارته على ما قامت به من مخالفة لبعض العادات والتقاليد الدينية والاجتماعية.

- أهم قصائدها:

في عتاب ابن زيدون على خيانته لها مع جارية سوداء:

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا ... لمْ تَهْوَ جاريتي ولم تتخيّر

وتركتَ غصناً مثمراً بجماله ... وجنحت للغصن الذي لمْ يثمر

ولقد علمتَ بأنني بدرُ السّما ... لكن ولعتَ، لشقوتي، بالمشتري

- رسالتها إلى الأصبحي:

وعندما كتب لها الأصبحي طالباً أن تسمح له بلقائها أجابته:

ترقَّب إذا جَنَّ الظلام زيــارتي فإني رأيت الليل أكــتم للــسر
ولي منك ما لو للشمس لم تلّحْ وبالبدر لم يطلعْ، وبالنجم لم يسر

في وداع ابن زيدون:

ودّع الــصبر محــبٌّ ودّعــك ذائعٌ من سره مــا اســتودعك
يا أخا البــدر ســناء وســنى حفـــظ الله زمانـــاً أطلعـــك
إن يطُــل بعــدك ليــل فلكــم بتُّ أشكو قِصَر الليــل معــك!

رسالة الوداع الأخيرة:

بعد النقمة على ابن زيدون وإزاحته عن الوزارة في قرطبة وهروبه إلى قصر الزهراء واختبائه فيه كتبت ولادة له:

ألا هل لنا من بعد هذا التفــرّق سبيل فيشكو كل صبّ بما لقي
وقد كنتُ أوقات التزاور في الشتا أبيتُ على جمر من الشوق محرق
فيكفَ وقد أمسيتُ في حال قطعه لقد عجّل المقدور ما كنت أتقي
تمر الليالي لا أرى البيْنَ ينقضي ولا الصبر مــن رقّ التــشوّق
سقى الله أرضاً قد غدَتْ لك منزلاً بطلٍّ سكوبٍ هاطل الوّبْل مغدق

وردّ عليها ابن زيدون ببيتين من ذات القافية والرويّ:

لحى الله يوماً لستُ فيه بمُلتقٍ محيّاك من أجل النوى والتفرّق
وكيف يطيب العيش دون مسرَّةٍ وأي سرور للكئيــب المــؤرَّق

- نهاية ولاّدة ووفاتها:

قلّبت ولادة ظهر المجن لابن زيدون بعد نكبته في آخر حياته، وتنكرت له ونعتته بأقبح الصفات التي يمكن أن يُنعت بها رجل، وخانته عياناً بياناً مع غريمه السابق ابن عبدوس.

وخارج هذه العلاقة ارتبطت ولادة بعدة علاقات عاطفية عابرة حتى بلغت الستين من عمرها دون زواج.

وتتهمها خادمتها السابقة «مهجة» بتهمة خطيرة وهي إنجابها لولد غير شرعي:

ولاّدةُ قـــــد صـــــــرتِ ولاّدة من غير بعــل فُــضِحَ الكــاتمُ

ولكن يغلب على الظن أنَّ هذه التهمة كانت بدافع الحقد والمكيدة.

* * *

سابعاً – حفصة بنت الحاج الركونيّة:

حفصة بنت الحاج الركونيـــة (نسبة قرية «الركونة – ALrukuna» وهي من أعمال غرناطة) عام ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م، وتوفيت في مدينة مراكش/ المغرب عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م.

وصفها الملاحي في تاريخه بأنها «الشاعرة الأديبة المشهورة بالجمال والحسب والمال».

وقال عنها ابن دَحيْة «رخيمة الشعر، رقيقة النظم والنظر».

كما وصف لسان الدين الخطيب في «الإحاطة» جمالها وتميزها وثقافتها الواسعة وروحها السلسة.

كانت دبلوماسية وصاحبة تأثير، ويقال إنّها ذهبت في وفد تهنئة إلى السلطان الموحدي عبد المؤمن في مدينة الرباط، فارتجلت له القصيدة القصيرة التالية وقالت تخاطبه:

يا سيّد الناس يا من يأمل الناس رَفْدَهْ

امنُنْ عليَّ بِطَرْسٍ يكون للدهر عُدّة

تخطُ يمناك فيه (الحمد لله وحده)

ولكي يفهم القارئ مقدار حصافة هذه الشاعرة نذكر بأن المراسيم التي كان يصدرها سلاطين المغرب الموحدين كانت تبدأ بعبارة (الحمد لله وحده).

- **حياتها العاطفية:**

كانت الشاعرة حفصة تشبه ولاّدة بنت المستكفي في أغلب صفاتها وطباعها، فكما جمعت ولادة الجمال والحسب والثراء إلى جانب الموهبة الشعرية، جمعت حفصة الركونية هذه الأمور جميعاً، وكما أحبّت ولادة وزيراً هو ابن زيدون، فقد أحبّت حفصة الوزير أبا جعفر بن سعيد، وكما عاشت ولادة عزباء دون زواج عاشت حفصة بتولاً كذلك.

ولكن الفارق بين الاثنتين هو أن ولادة شمتت بابن زيدون بعد نكبته ووصفته بأبشع وأشنع الصفات، بينما حزنت حفصة على مقتل صاحبها أبي جعفر بني سعيد ولبستْ عليه الحداد، ولمّا تم تهديدها بالقتل رحلت من غرناطة إلى مراكش، حيث قضت بقية حياتها تحت حماية السلطان المغربي كمربيّة لبنات الأسرة الموحّدية هناك.

وعندما قتلوا لها حبيبها أبا جعفر بن سعيد ولبست عليه الحداد تصف مشاعرها بالقول:

هددّوني من أجل لبس الحداد   لحبيب أردوه لي بالحدادِ

رَحِمَ الله من يجود بدمع   أو بِنَوْحٍ على قتيل الأعادي

- أحلى قصائدها:

قال ابن سعيد في «الطالع السعيد» إن حفصة الركونية كتبت إلى حبيبها أبي بكر:

أزوركَ أم تزورُ فإن قلبي   إلى ما تشتهي أبداً يميل

فثغري موردٌ عذبٌ زلال   وفرع ذؤابتي ظلٌ ظليلُ

وقد أمَّلتُ أن تظمأ وتضحى   إذا وافى إليكَ بي المُقيلُ

فعجَّل بالجواب فما جميل   إباؤك عن بثينة يا جميل

– وقالت في بطاقة دفعت بها إلى جارية أبي جعفر طالبة مقابلته وتصف فيها نفسها دون ذكر اسمها:

زائـــرٌ أتـــى بجيـــد الغـــزالِ مُطَّلع تحـــت جنحـــه للهـــلالِ

بِلحاظ من سحر بابل صـــيغت ورُضاب يفوق بنـــتَ الـــدوالي

يفضح الورقَ ما حوى منه خَدٌّ وكـــذا الثغـــر فاضـــحٌ للآلـــي

ما ترى في دخولـــه بعـــد إذن أو تراه لعارض فـــي انفـــصال

– وكتبتْ تصف غيرتها على حبيبها:

أغارُ عليكَ من عينـــي رقيـــبٍ ومنكَ ومن زمانـــكَ والمكـــانِ

ولو أني خبأتكَ فـــي عيـــوني إلى يوم القيامـــة مـــا كفـــاني

ومن شعرها في رثاء حبيبها أبي جعفر:

سلام يفتح من زهـــره الكمـــام وينطـــــق ورق الغـــــصون

على نازحٍ قد ثوى في الحـــشا وإن كان تُحرم منـــه الجفـــون

فلا تَحْسبوا البعـــد يُنْـــسيكمو ذلـــــك والله مـــــالا يكـــــون

مراجع الاستزادة:

١) ياقوت الحموي «معجم الأدباء» – ٢١٩/١٠.

٢) لسان الدين بن الخطيب «الإحاطة في أخبار غرناطة» – طبعة القاهرة ١٣٦٩هـ – ج١ – ص٣١٦ – ٣١٨.

٣) بشير يموت «شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام» - بيروت ١٩٣٤ - ص٢١٥ - ٢١٩.

٤) المقري «نفح الطيب» - ٢/٥٣٩.

٥) ابن الأبار «التحفة» - رقم ١٠٠.

٦) ابن سعيد «الرايات» - ص٦١.

7) Nyvie: «Hispano –Arabic Poetry» - Baltimore 1946.

8) Di Giacomo: «Une poétesse Andalouse du temps des Almohades» - in Hesp XXXIV (1947)- PP.9-107.

* * *

ثامناً - الجارية أُنس القلوب:

جارية المنصور بن أبي عامر الأندلسي، تعرّفت يوماً بفتى جميل من أفراد الحاشية فوصفته بما يلي:

قدم الليل عند سير النهار ... وبدا البدر مثل نصف سوار
فكأن النهار صفحة خدٍّ ... وكأن الظلام خطُّ عذار
وكأن الكؤوس جامد ماء ... وكأن المُدام ذائب نار
نظري قد جرى عليّ ذنوباً ... كيف ممّا جنته عيني اعتذاري
يا لقومي تعجبّوا من غزال ... جائر في محبّتي وهو جاري
ليتَ لو كان لي إليه سبيل ... كنتُ أقضي من الهوى أوطاري

وعندما وصلت هذه الأبيات إلى علم المنصور بن أبي عامر استدعى إنس القلوب وأنّبها وأغلظ لها القول، وسألها أن تُصْدِقَهُ وتقول له لمن هذه المعاني، فبكَتْ وطلبتْ من مولاها العفو، ولم تبح له باسم الغلام، ولكنها اعتذرت منه قائلة:

أَذْنبْتُ ذنباً عظيماً فكيفَ منه اعتذاري
اللهُ قدَّر هذا ولم يكُنْ باختياري
والعفو أحسنُ منه يكون عند اقتدارِ

فعفا المنصور عنها.

* * *

تاسعاً – آنّ دو فرانس (Anne De France):

شاعرة فرنسية عاشت على الأغلب في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر حسبما يظهر من مفردات شعرها التي تحوي كثيراً من الكلمات العتيقة Archaiques، حيث لا يمكن للقارئ غير المختص أن يفهم كلمات قصائدها إلا إذا كانت «مُدَبْلَجةً» إلى اللغة الفرنسية المعاصرة. وقد اشتهرت هذه الشاعرة خاصة بكتابة القصائد الدينية، وقصائد الفروسية Chevalrie، لذا سنكتفي بذكر قصيدة واحدة لها هنا في الحب، وهي بعنوان «أنشودة الوداع Le Chant des Adieux»:

«هل علينا أن نفترق بدون أمل،
دون أمل في العودة،
هل علينا أن نفترق بدون أمل،
دون أمل باللقاء في أحد الأيام؟!

* * *

إنّ الأمر ليس إلا أملاً بتمني العودة
إن الأمر يتخلص في عبارة (إلى اللقاء)
سنلتقي من جديد أيها الحبيب
لذا أقول لك (إلى اللقاء)!

* * *

إن الله الذي رآنا معاً
يُباركنا معاً وسيوحد مصيرنا
باتحاد أيدينا عند مغيب النهار
قيداً من الحب لا ينفصم»

* * *

عاشراً - كريستين دوبيزان (١٣٦٤ – ١٤٣١).

Christine de Pisan (1364 – 1431)

شاعرة فرنسية تُعد واحدة من أهم شاعرات أوروبا في القرون الوسطى، وقد كتبت أكثر من مائتي قصيدة باللغة الفرنسية القديمة في العلاقات الاجتماعية، وواجبات الرجل تجاه المرأة، والواجبات المتعلقة بالكياسة والذوق السليم، وعاشت تحت رعاية الدوق أورليان Duc d´orleans حسبما تدل إحدى اللوحات المحفوظة في «المكتبة الوطنية بباريس».

وقد اختارت كريستين أن تنظم قصائدها على شكل «رسائل Epitres»، وكانت تسمي كل واحدة منها بعنوان معين، وقد اخترنا لها نصاً من هذه الرسائل بعنوان:

«رسالة إلى رب الحب L´ Epitre au dieu d´ Amour»

وهذه الرسالة وردت ضمن مجموعة حملت عنوان: «Le Livre de la cite des dames»، وقد نشرته كريستين عام ١٣٩٩م وهاهو نص هذه القصيدة – الرسالة:

«رسالة إلى رب الحب»

«من هو الذي يحبط آمال الفتيات الشريفات

بغشه وخداعه؟

إنه جنون الحب!

ومن هو الذي يُنسيهن الله والقديسين والجنة
ويُنسي المرء حياته الأخرى؟
إنه جنون الحب!

* * *

من أين تحدث السرقات
للحفاظ على قدرة الصرف بإسراف؟
وما هو سبب خنق اللقطاء حديثي الولادة
وسبب موت الأزواج الشريرين بسرعة
إنه جنون الحب!

* * *

وقد نظمت كريستين دوبيزان بعد ذلك، بين ١٤٠٠ و١٤١٠ حوالي مئة قصيدة من نوع «قصائد الحب الطويلة Ballades»، تبحث في العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة إذ أسمتها «مئة أغنية للعاشق والحبيبة Cent Ballades d´ Amant et de Dame» وقد اخترنا من بينها «الأغنية رقم ١٢: Ballade XII»، وهي بعنوان «لو كنت متأكدة من أني محبوبة: Si J´étais Certaine Que L´ On m´ Aime» وهاهي ترجمتها إلى العربية:

«لو كنت متأكدة من أني محبوبة

دون أن يعني ذلك وجود أمر مشين (علاقة معيبة)
أو أن يعتقد بعض الناس بذلك،
وأن يكون الحبيب عند طلبه
صديقاً عطوفاً
فإنني لا أنكر بأن هذا الأمر
سيكون كافياً لوجود علاقة حب
تروق لجميع النساء
مهما كانت المرأة كاملة (لا غبار عليها)،
ولكني أخشى من أن يكون الحب غير ذلك؟

* * *

عندها لا يكون من العدل
أن نلوم المرأة التي ترضى باتخاذ صديق لها،
صديق طيب ومخلص يناديها (سيدتي)
طالما أنها ستبقى محافظة على شرفها
وطالما كانت تعلم بأنه سيبقى مستقيم السلوك نحوها
وستكون مجنونة لو رفضت مثل هذا الوضع
ولكني أخشى من أن يكون الحب غير ذلك!

* * *

لهذا السبب

وخيفة من أن تلوك الألسنة سمعتي

أو أن يخدعني بعض الرجال المراءين

فإني لا أجرؤ على حُبّ رجل ما

بالرغم من دعوات بعضهم لي بإلحاح

فأنا أعلم بأنه لو كان هناك رجل يُراعي الكياسة

لظفر بحبي

دون أن يمس بشرفي

ولكني أخشى من أن يكون الحب غير ذلك!»

* * *

الفصل الثالث

شاعرات العصور الحديثة
(١٥٠١ - ١٨٠٠)

أولاً – آن براد ستريت (١٦١٢ – ١٦٧٢)

Anne Bradstreet (1612 – 1672)

– حياتها الشخصية:

رائدة الشاعرات الأمريكيات وأقدمهن في الظهور، بل إنها سبقت في حياتها تاريخ الاستقلال الأمريكي عن بريطانيا عام ١٧٧٦.

ولدت آن دودلي براد ستريت في إنكلترا عام ١٦١٢ ضمن عائلة بوريتانية هاجرت إلى مقاطعة نيو إنجلند (أمريكا) في الثلث الأول من القرن السابع عشر.

كان والدها «توماس دودلي» يعمل مديراً لأملاك الإيرل أوف لينكولن في بريطانيا، الذي كان يملك في قصره مكتبة ضخمة، وهذا ما مكن آن من مرافقة والدها أحياناً إلى القصر وتصفح الكتب الأدبية الموجودة في هذه المكتبة طيلة عشر سنوات تقريباً.

وقد تزوجت آن في سن مبكرة (في السادسة عشرة من عمرها) ثم هاجرت مع زوجها وأفراد أسرتها إلى أمريكا عام ١٦٣٠، حيث استوطن الجميع في مستعمرة (ماساشوستس باي كولوني)، ثم عمل والدها وزوجها حاكمين لهذه المستعمرة، بينما انصرفت آن إلى رعاية منزلها وزوجها وأولادها الصغار، وإلى كتابة الشعر بين وقت وآخر.

وفي عام ١٦٤٧ عاد شقيق زوجها إلى بريطانيا حاملاً معه دفتراً يحوي بعضاً من قصائد امرأة أخيه (آن براد ستريت)، وعرض هذه القصائد على أحد الناشرين الذي قبل بطبعها ونشرها تحت عنوان: «ربة الشعر العاشرة The Tenth Muse»، وفي هذا تشبيه لآن براد ستريت بشاعرة اليونان القديمة «سافو» التي كانت تحمل هذا اللقب.

وقد لاقى هذا الديوان نجاحاً كبيراً في لندن، بالرغم من أنه يحوي بعض الأخطاء، ولهذا ادّعت آن أنَّ المخطوط حمل إلى لندن دون علمها، وشرعت في تصحيح أخطائه ثم أضافت إليه

بعض القصائد ونشرته ثانية عام ١٦٥٠ في أمريكا هذه المرة، تحت عنوان جديد هو: «ربة الشعر العاشرة تظهر في أمريكا The Tenth muse spring in America»، ولاقى الكتاب الجديد الرواج نفسه الذي سبق أن لاقاه في إنكلترا، مما جعل آن تتابع نشاطها في نظم الشعر، وقد نظمت عدداً من القصائد، ولكن الحريق الذي التهم منزلها عام ١٦٦٦ قضى على قسم كبير من نتاجها الشعري.

– وكانت آن براد ستريت تجمع بين صفتين متعارضتين وهما التواضع الشخصي والكبرياء، وقد قضت بقية حياتها مخلصة لأفراد عائلتها وزوجها ولأطفالها الثمانية ولربّها كذلك حيث كان قلبها يعتمر بأصدق المشاعر الدينية.

وقد توفيت يوم ١٦ أيلول ١٦٧٢ في مدينة أندوفر بولاية ماساشوستس الأمريكية.

وبعد وفاتها بست سنوات تمت مراجعة بعض قصائدها المنشورة، وإضافة نصوص القصائد الأخرى التي تم العثور عليها مجدداً، وتم نشر الجميع تحت عنوان: «قصائد متفرقة Several Poems».

هذا فيما يختص بشعرها، وأما نثرها فلم ينشر في أولى طبعاته إلا عام ١٨٦٧، وأغلب هذا النثر من قبيل المواعظ

الدينية والحكم الأخلاقية والتأملات في مجال الطبيعة والنفس البشرية.

والجدير بالذكر أن القسم الأكبر من مطبوعاتها طبع أولاً في بريطانيا، حيث لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية قد استقلت بعد.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن عدداً من مؤلفاتها يتمتع بقيمة وثائقية عن الحياة الاجتماعية الأمريكية في القرن السابع عشر.

- الملامح العامة لشعرها:

يغلب على شعر آن براد ستريت الطابع الكلاسيكي، وأحياناً الديني الأخلاقي التعليمي، ضمن المذهب البوريتاني الذي كان يسود لدى المهاجرين إلى مقاطعة «نيو إنجلند» الأمريكية في ذلك الوقت.

ولكن براد ستريت لم تكن تسيُّرها هذه المشاعر فقط، بل كانت كأي شاعر تعيش حالة صراع داخلي مع مشاعر أخرى هي التي تتعلق بحياتها الدنيوية أيضاً.

وتعبّر الناقدة الأدبية «وندي مارتن Wendy Martin» عن هذه الحقيقة بالقول: «إن أغلب أعمال براد ستريت تدل على أنها كانت تجتاز مراحل صعبة ناشئة عن الصراع بين اللذات

الحسية والمسرات العائلية من جهة، ومتطلبات الحياة السماوية من جهة ثانية.

وكمؤمنة بوريتانية كان عليها أن تُخضع ارتباطها بالعالم الذي تعيشه إلى متطلبات العالم الآخر الذي تؤمن به».

ويظهر هذا الصراع من خلال المواضيع التي طرحتها عبر ديوانها الرابع الذي يحمل عنوان:

«Several poems compiled with great variety of wit And learning» (1678).

حيث تتعرض براد ستريت في هذا الديوان لحياتها الشخصية وقلقها من المرض، وهاجس الموت، ورأيها في الحب وفي الدين والأخلاق العامة والمعاملة الزوجية...

- **أحلى قصائدها:**

1) In memory of my dear grand child Elizabith Bradstreet.

في ذكرى حفيدتي العزيزة إليزابيث براد ستريت.

2) To my dear daughter – in –law miss mercy Bradstreet.

إلى زوجة ابني العزيزة السيدة مرسي براد ستريت.

3) To my dear Loving husband.

إلى زوجي العزيز والمحب.

وهذه القصيدة تُعرف أحياناً بأول بيت فيها وهو «إذا كان هناك من اثنين يشكلان كياناً واحداً، فهو نحن».

4) Some verses upon burning of our house, july 10 th 1666.

بعض الأبيات الشعرية عن احتراق بيتنا في ١٠ تموز ١٦٦٦.

5) Contemplations

تأملات.

6) The flesh and the spirit

الجسد والروح

7) Prologue

مقدمة

8) Longing for heaven

التطلع نحو السماء.

9) Meditations: divine and moral.

تأملات في الدين والأخلاق.

- مختارات من شعرها:

نورد فيما يلي ترجمة لواحدة من أحلى قصائدها، وهي «رسالة إلى زوجي العزيز والمحب»:

«إذا كان هناك من اثنين يشكلان كياناً واحداً،

فهو نحن بالتأكيد،
وإذا كان هناك من زوج محبوب من زوجته فهو أنت،
وإذا كان هناك من زوجة سعيدة برجُلها فهي أنا.
قارن بيني وبين بقية النساء إذا استطعت.
أنا أثمّن حبك أكثر من مناجم الذهب مجتمعة
ومن كل الثروات الموجودة في الشرق.
إن حبّي مثل هذا النهر
لا يمكن أن يجف
ولا يتوقع مكافأة على هذا إلا الحب
إن حبّك لا يمكنني أن أردّ عليه بما يستحقه
ولذلك أرجو من السماوات مكافأتك عليه.
هيا دعنا نحافظ على هذا الحبّ الذي نعيشه
وبهذا عندما نكفُّ عن الحياة (عندما نموت)
يمكننا أن نعيش إلى الأبد».

– بعض المراجع عن براد ستريت:

1) john barryman: «homage to mistress Bradstreet» - 1966.

2) Elizabeth wade white: Bradstreet the tenth muse».

3) Hensley: «the works of Anne Bradstreet».

ثانياً - نينون ده لانكلو:

إحدى محظيات لويس الرابع عشر، الذي مُلّك على فرنسا في النصف الثاني من القرن السابع عشر.

وكانت هذه المحظية من هواة الثقافة والشعر، وقد أسرَّت لها واحدة من زميلاتها أن الملك كان يخونها مع أكثر من امرأة، فردّت عليها بهذه القصيدة المرتجلة التي أخذت اسم «نينون» فيما بعد، والتي تدل على مقدار التهتك الذي كان سائداً في البلاط الفرنسي ذلك العصر:

«ما أهمية الخيانات
(التي تقترفها) الشفاه التي نمتصّ
إذا كانت هذه الشفاه (تعود إلينا) جميلة ومشتعلة؟
هي يمكنها أن تستسلم لغيرنا
قدر ما تريد
على شرط أن تعود إلينا في آخر الليل حرّى وحمراء وشهية!
ما أهمية خياناتها
طالما أنها، ومهما غابت،
لابد أن تعود
وهي دوماً حمراء مشتعلة».

ثالثاً - آن هنْتَر (١٧٤٢ – ١٨٢١) :
Anne Hunter (1742 – 1821)

شاعرة سكوتلندية، ولدت في اسكوتلندا عام ١٧٤٢، وتوفيت في لندن يوم ٧ كانون الثاني ١٨٢١.

أشهر قصائدها تلك التي عنوانها «أمي عرضت علي أن تعقص لي شعري» وتقول فيها:

«أمي عرضت علي أن تعقص لي شعري
بشريط ذي لون وردي متماوج
وأن تربط لي جدائلي بشرائط نادرة
لكي أرتدي صدريتي الزرقاء.

* * *

وصرخَتْ بي: لماذا تبكين هكذا طوال الوقت
في الوقت الذي تذهب الفتيات الأخريات
إلى الرقص واللعب؟
واأسفاه! أنا يصعب عليَّ الخروج والسهر
في الوقت الذي يكون فيه حبيبي (لوبان) بعيداً عني!

* * *

من المحزن التفكير في أن الأيام تمضي بسرعة

عندما يكون أولئك الذين نحبهم بالقرب منا،
هاأنا أجلس الآن على هذه الصخرة المغطاة بالطحلب
وأتنهد حزينة في الوقت الذي لا يسمعني به أحد.

* * *

وها أنا في الوقت الذي أدير فيه مغزلي
وأنشد فيه أغنيتي الساذجة
تبدو القرية لي نائمة بل ميتة
لأن حبيبي (لوبان) بعيد عني».

* * *

رابعاً - شاعرة أيرلندية مجهولة من شعراء القرن الثامن عشر:

لدينا قصيدة واحدة متميزة لهذه الشاعرة وهي: «تذكَّر تلك الليلة Remember that night»، وهي كما يلي:

«تذكّر تلك الليلة
وأنت تدخل عليّ من النافذة
دون قبعة ولا قفازين
بل حتى دون معطف يغطي جسمك!
لقد أعطيتك يدي

تناولتها وأمسكت بها
وبقيت أنا معك حتى زقزق طيرُ الصباح!

* * *

تذكّر تلك الليلة
عندما كنا، أنتَ وأنا، نلتحف السماء الغبراء
بينما كان الليل شديد البرودة حتى الصقيع.
لقد وضعت رأسك بين نهديَّ
وغليونك اللامع يتراقص بين شفتيك
فكّرتُ عندئذ بأنَّ حبنا يمكن أن ينفصم!
أيها الحبيب إلى قلبي
تعالَ إليّ في إحدى الليالي سريعاً
عندما ينام أهلي
وسنتكلمُ معاً
سأضع ذراعي حول خصرك
وأقصُّ عليك قصتّي
وسيحملني حديثك اللطيف العذب إلى السماء.

* * *

النار لم يتم انطفاؤها بعد
والأنوار مازالت مضاءة
ومفتاح منزلنا يقبع تحت عتبة الباب.

استخدمه بخفّة

وستجدني مستيقظة

ثروتي في يدي ومستعدة للرحيل!

* * *

خامساً - ماريانا آلكوفوراندو (القرن الثامن عشر):

Marianna Alcoforando (XVIII ‘– S)

شاعرة برتغالية أصبحت راهبة بعد فشلها في حبها الأول والأخير. تألقت كشاعرة في سبعينيات القرن الثامن عشر.

تقول عن الحب:

And then I know that love worth its pain

And that my heart was richer for his sake

Since lack of love is bitterest off all.

والمعنى بالعربية:

«علمتُ عندئذ أنَّ الحبّ يستحق الألم الذي نعانيه بسببه

وأن قلبي أصبح أغنى بالتجربة

طالما أن الحرمان من الحب

هو أكثر مرارة من أي ألم آخر.

* * *

سادساً - مارسيلين ديبورد فالمور (١٧٨٦ – ١٨٥٩)

Marceline Desbordes – Valmore

يقول الشاعر الفرنسي المعروف ألفريد ده موسيه في واحدة من قصائده:

«Rien ne nous rend plus grands qu´ une grande douleur»

أي: «لا شيء يجعلنا عظماء كالألم العظيم».

ويظهر أن «ده موسيه» كان، وهو ينظم هذا البيت، يفكر بزميلته الشاعرة «مارسيلين ديبورد – فالمور»، إذ إنّه نَدَرَ أن تعرضت امرأة لكل المصائب والآلام التي تعرّضت لها هذه المرأة، إلى درجة جعلت بعض النقاد يطلقون عليها لقب «السيدة آلام Mme Douleurs»، بينما أطلق عليها شاعرنا الراحل علي محمود طه لقب «سيدة الحب الخالد» لأنها أحبّت وضحّت، وظلت تحب وتضحي في سبيل الحبيب طيلة حياتها، فكيف كانت حياتها هذه؟

ولدت مارسيلين ديبورد يوم ٢٠ حزيران ١٧٨٦ في مدينة دويه Douai، على مقربة من مدينة ليل، في الشمال الفرنسي، وكان أبوها يعمل في تذهيب وتزيين عربات الأشراف والنبلاء.

ولما نشبت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ قضت هذه الثورة على طبقة النبلاء وعلى رزق «ديبورد» الأب معاً، ففكرت

الأسرة بتدبير حياتها في مكان آخر، واستقر الرأي على أن تسافر الأم مع طفلتها مارسلين إلى جزيرة جواديلوب للنزول ضيفة لدى قريب غني لها يملك ضياعاً واسعة هناك، على أن يلحق بها الأب بمجرد استقرارهما في الجزيرة.

وسافرت الأم مع طفلتها أربعين يوماً وأربعين ليلة عبر البحار، حتى وصلت إلى جزيرة جواديلوب ولجأت إلى قريبها الغني، وبدأت تدبّر أمورها هناك، ثم أرسلت بطلب زوجها للالتحاق بها.

ولكن سوء الحظ الذي كان يلازم الطفلة مارسلين قد تدخل في حياتها من جديد، حيث إنَّ رياح الثورة الفرنسية وصلت إلى جزيرة جواديلوب أيضاً، فثار العبيد والفلاحون وقضوا على عدد كبير من الملاكين النبلاء، وكان من جملة هؤلاء القريب الغني الذي نزلت العائلة فالمور في ضيافته.

كان ذلك عام ١٨٠٠ والفتاة مارسلين لم تبلغ الخامسة عشرة من عمرها بعد، وأبوها الذي وصل إلى الجزيرة لايجد العمل الذي يؤمن له ولعائلته الطعام، وأمها بدأت تعاني من المرض.

واتفق أفراد العائلة الثلاثة على توزيع الأدوار فيما بينهم، بأن يعمل الأب عملاً يدوياً في مزرعة مجاورة، وبأن تخدم مارسلين في أحد البيوت، وأن تنصرف الأم لتدبير شؤون المنزل المتواضع الذي كانوا يسكنون فيه.

وسارت الأمور بهذا الشكل، ولكن بكل صعوبة، طيلة ستة أشهر، ثم أطلّ سوء الحظ على العائلة من جديد فاختطف الأم مرض الحمى الصفراء، فلم يجد الأب وابنته بداً من العودة إلى فرنسا.

ولكن كيف السبيل للعودة وليس معهما أجرة السفينة؟

توسلت مارسلين – التي كانت قد بلغت الخامسة عشرة من العمر – إلى ربان إحدى السفن لكي يرضى بحملها عليها في مقابل اشتراكها بأعمال التنظيف فقبل منها ذلك.

ولما وصل الأب وابنته إلى مرفأ الهافر الفرنسي، في مساء يوم ماطر من أيام عام ١٨٠١. احتارا ماذا يفعلان، أو بالأحرى احتارت الصبية مارسلين ماذا تفعل لكي تعول نفسها وأباها الذي سقط مريضاً بعد رحلة البحر الطويلة.

وبالنظر لأنها تميل إلى التمثيل، ولأن صوتها لا تنقصه بعض الحلاوة، فقد عملت كممثلة متجولة في منطقة شمالي فرنسا، موطنها الأصلي، ولكن موت أبيها جعلها تهجر المنطقة وتنزل إلى باريس.

وفي باريس تعرفت إلى رجل عطوف، في سن والدها تقريباً، اسمه «جريتري»، فقدم لها مساعدة جليلة بأن سهّل لها العمل في مسرح «الأوبرا كوميك» في العاصمة.

وقد ظلت الفتاة تعمل في هذا المسرح خمس سنوات دون أن تفكر في شيء آخر سوى في إتقان مهنتها كممثلة مسرحية، وتأمين حياة مادية لائقة بها، ولكنها كانت تشعر بألم عاصف لأنها بلغت العشرين من عمرها دون أن تُحب أو أن تُحَب، هي التي تمثل أدوار الحب يومياً على المسرح.

وفي أحد الأيام فاجأتها زميلتها في التمثيل «ديلي» وهي تبكي في مقصورتها بعد أن انتهت لتوها من قراءة إحدى القصص العاطفية، ولما سألتها عن سبب حالتها هذه باحت لها وبكل براءة بأنها تحنّ عاطفياً للتعرف إلى شاب يحبها وتحبه، يخلص لها وتخلص له، لكي ترتبط به في المستقبل وإلى الأبد.

كانت «ديلي» على نقيض زميلتها «مارسلين» امرأة مجربة عاشرت العديد من الرجال منذ مطلع صباها، وانتهى بها الأمر إلى أن تصبح عشيقة لشاب وسيم من طبقة غنية اسمه «هنري ده لاتوش Henry de Latouche»!

وفيما كانت ديلي في خلوة مع عشيقها هذا تفتَّقَ ذهنها الماجن عن خطة شريرة للإيقاع بزميلتها مارسلين: ماذا لو أقنعت عشيقها الوسيم هنري بالتقرب من مارسلين وإيهامها بأنه يحبها؟

إنّ ذلك سيجعلها تشعر بكثير من التسلية بالإضافة إلى أنها ستحل «عقدة» مارسلين إذا جاز التعبير!

وتمّ ما خططت له ديلي بسرعة، حيث دعت مارسلين إلى حفلة في منزلها وهناك عرّفتها بعشيقها هنري على أساس أنه طالب في كلية الطب واسمه «أوليفييه». ولقد تمّ ما اتفقت عليه ديلي وعشيقها ده لاتوش بنجاح كامل، حيث سقطت مارسلين في فخ الحبيب الدعيّ «أوليفييه»، محترف الغرام، وأخذت تعبْ من هذا الحب بلا توقف أو تعقل، وكأنها تعوّض في لحظات الحب العابرة عن جميع ماعرفته في حياتها من مآسي وآلام وحرمان!

وهنا حدثت المعجزة، إذ إنَّ هذا الحب جعل من مارسلين واحدة من أبرز شاعرات فرنسا، وكاد يقضي على هوايتها الأساسية التي صاحبتها خلال السنوات العشر الأخيرة من حياتها، وهي هواية القراءة، فنسمعها تقول:

«آه إني لا أستطيع القراءة

كل الكلمات أمام عينيّ لا معنى لها، سوى أنَّي أراه

لا أستطيع القراءة، بل لا أستطيع الحياة»

ولما لمس منها ده لاتوش كل هذا الحب حاول أن يتراجع، وأفهمها بأنه عشيق لصديقتها وزميلتها ديلي، ولكنها لم تتراجع هي، لأنه فات بالنسبة إليها أوان التراجع.

وعندما انقطع عن لقائها ذهبت إلى صديقتها نفسها وطلبت منها التدخل لديه لوصل ما انقطع، حيث نجدها تقول:

«قولي إن ذلك غير صحيح

قولي إنه يجربني، ذلك القاسي

قولي إنه سيرجع إليّ

إنه راجع.. اخدعيني

اذهبي إليه، اركعي بين يديه

واستعطفيه من أجلي»

ولكنها في الوقت نفسه تتذكر بأن رسولتها إليه هي غريمتها فتصيح بقلب مكلوم:

«إنه أمامها، إنه ينظر إليها

إنه يصنع الآن معها كما كان يصنع معي».

وتحاول الفكاك من حبه فلا تقدر على ذلك:

«إني لا أستطيع الهرب منه، كما كنت أصنع من قبل

إن روحي كانت تهرب مني منزعجة وهي ترتعش

فتركتها – تركت روحي – على فمه الملتهب».

ولا يبقى أمامها سوى لذة التفكير به والأرق من أجله فتصرخ والهة:

«لا أريد النوم يا أرقي العزيز

فأيٌّ نوم ألذ منكَ؟!»

ويدرك ده لاتوش أن الثمرة قد أصبحت يانعة بما فيه الكفاية فلا يتورع عن قطفها، بينما تعترف مارسلين بِزَلّتِها قائلة:

«أختاه! إنه لا سند لي اليوم غير فضيلته».

وبعد أن يرتوي العشيق الخائن من جسدها الغض يصمم على هجرها فيدعي زوراً أنَّ أباه مريض ويريد زيارته، فتستعطفه مارسلين قائلة:

«تريد أن تسافر؟ تريد أن ترى أباك؟

اذهب واحمل إليه قبلات طفلة تدين بحبه

ضع على قلبه سلامي، واحترامي وخالص غرامي، إنه أبوك.

إنه أبي.. لقد وهبك الحياة التي وهبْتَها أنتَ لي»

ولما يطول الغياب، ولا يعود الحبيب، تشكو من قسوة هذا الغياب فتقول:

«أختاه لقد سافر حبيبي

إنه تركني، هجرني

لا توجد في عيني دمعة واحدة

لفرط ما بكيت، ولكنني في حاجة إلى البكاء

إنك تبكين معي.. لشدّ ما سأحبك».

ويلينُ قلبه ده لاتوش، ويعود إلى جوار مارسلين لفترة قصيرة فتنسى كبرياءها وتقول:

«يا كبريائي.. لقد أحببت قلبي أكثر منك!»

تنسى كبرياءها، وتصرخ متسائلة بعجب:

«يا إلهي. أيصبح هو سيدي مرة أخرى؟

ولكن.. هل لم يكن سيدي حتى في غيبته».

ولما يعود الحبيب إليها تنسى مارسلين أحزانها وتجثو على ركبتيها أمامه، تتوسل إليه بدلاً من أن يتوسل هو إليها، وتعاتبه قائلة:

«خذ ضحيتك... أرجع إليها أغلالها وقيودها

إني لأسلمك قلباً لا يزال يرتعش حباً»

وبالرغم من أن أوليفييه كان هو الاسم المزوّر لصاحبه هنري ده لاتوش، فلقد أحبّت مارسلين هذا الاسم، حيث نراها تناجيه قائلة:

«لقد كُتِبَ اسمُك في السماء

يوم كُتب اسمي

إنكَ لا تنادي باسمك

إلا ممتزجاً باسمي».

ولكن كل هذا الحب الملتهب، وكل هذه التضحيات التي لا تعرف قيوداً ولا حدوداً، لم تنفع في استبقاء أوليفييه إلى جانب مارسلين، أو في إقناعه بالزواج منها، لذا كان ما لابد أن يكون، فتم الفراق بين الاثنين في عام سقوط الإمبراطورية (١٨١٥).

وبعد الفراق سافر أوليفييه (هنري ده لاتوش) في رحلة دامت عامين إلى إيطاليا حيث تعرّف بأديبة فرنسية أخرى هي جورج ساند، وأما مارسلين فقد بقيت تجتر أحزانها لمدة سنتين، ثم أقدمت على الزواج من زميل لها في عام ١٨١٧، هو «فالمور لانشانتان»، وأضافت اسمه إلى اسمها فأصبحت تدعى «مارسلين ديبورد فالمور».

ولقد أحبت مارسلين زوجها وأخلصت له وأنجبت منه ثلاثة أطفال، ولكنها ظلت في غياهب نفسها مرتبطة بذلك الحب الذي قلبها من طفلة إلى امرأة. ويقال إنّها لما سافرت في صحبة زوجها إلى إيطاليا وهي في الخمسين من العمر كان أول ما قالته وهي تتملى بسحر المناظر الإيطالية:

«قبل ثلاثين عاماً مسَّت قدماه هذه الأرض»!

لقد خرجت مارسلين خاسرة في معركة الحب، ولكنها لم تكن خاسرة في جميع المجالات، حيث إنَّ حبّها هذا صهر روحها، وعمّق إحساساتها، وجعل منها شاعرة من شاعرات الصف الأول.

ويصف لنا الشاعر على محمود طه طبيعة العلاقة بين مارسلين فالمور وهنري ده لاتوش في أيامها الأخيرة فيقول:

«ورغم ما قالته فيه مارسلين من شعر ملتهب ثائر مشرق عنيف فقد كان ده لاتوش ضعيفاً جباناً، إنه هو الذي هرب من عظمة حبها، إنه لم يفهمها، أراد عشيقة فوجد حبيبة، اشتهى اللذات فأعطته حباً قوياً جارفاً، رغب في ساعات المتعة والهناء فمنحته الأبد،، لم تكن تعرف إلا الحب (...) لقد كان حبها عظيماً، وهذا ما أتعب الحبيب وأرهقه، آلمه، لقد كان أكبر وأعظم وأخطر منه فضعفَ وجَبُنَ وآثر الفرار!

أجل كان كذلك، ولكنه لعب الدور الثاني في حياتها، فكل ما صنعه أنه أخرج من أعماق نفسها ما كان مكبوتاً فيها من ذخائر ونفائس وفضائل، وأثار في أغوار روحها كنوز المواهب المتألقة النادرة (...) أجل إنها فقدت الحب ولكنها وجدت الشعر، لقد خلعت روحها فيه ما عليها من غشاء وظهرت عارية لا تخجل حتى في إظهار ما كانت تُحُسُّه من شهوات (...) هذه هي مارسلين ديبورد فالمور، شاعرة الغرام والآلام سيدة الحب الخالـــد».

شعر مارسلين ديبورد فالمور:

كان أول ديوان أصدرته مارسلين هو (مراث وغراميات Elegies et Romances) عام ١٨١٩، وبعده أصدرت ديواناً آخر عنوانه «أشعار جديدة Poesies Nouvelles» عام ١٨٢٥.

واختطف منها الموت فجأة اثنين من أولادها وهما ابنتاها إينيس وأوندين على التوالي، مما جعل أشعارها تتسم بطابع الحزن بعد ذلك، ونلمس هذا في ديوانها «الدموع Les Pleurs» الصادر عام ١٨٣٣، و«الأزهار المسكينة Pauvres Fleurs» عام ١٨٣٩، وكذلك في خاتمة دواوينها الشعرية «صلوات وأكاليل من الأزهار Bouquets et Priéres» الذي أصدرته حين شارفت على الستين من عمرها عام ١٨٤٣.

وقد ألّفت مارسلين كتاباً في النثر ذكرت فيه أشياء كثيرة عن حياتها، وهو يحمل عنوان «مَشْغل الفنان Atelier du Peinter» وذلك قبل وفاتها في باريس عام ١٨٥٩.

أهم مميزات شعرها بأنه بسيط وصادق وذو موسيقى داخلية تنساب بين ثناياه إلى درجة أنها أعجبت الشاعر المعروف فيرلين فكرّس لها جانباً من كتابه المعروف «الشعراء الملعونون Les poétes maudits» عام ١٨٨٤. ولم يكن هذا غريباً فقد أعجب شعرها قبله رائد الحداثة في الشعر الفرنسي شارل

بودلير. كما أعجب شعرها الأديبة الفرنسية مدام ريكامييه، والروائي أليكسندر دوماس الأب، والناقد الفرنسي المعروف سانت بوف، وأخيراً لا آخراً الشاعر رامبو.

وستظهر لنا بعض من سمات شعرها هذا في المقطوعات التالية الثلاث، مما ترجمه لنا الشاعر علي محمود طه شعراً لها، وضمنّه في كتاب «حب وحرب» الذي صدر له بعد موته.

١ – حديقة سعدي

أردتُ يا حبيبي أن أقطف من أجلك
ورداً في هذا الصباح
أقدمه هدية مني
فرحتُ أقطف وأحشو به صدارتي
حتى ضاقت من الامتلاء
وانشقَّ عن صدري الرداء
وتبعثر الورد وطارت به الرياح إلى عرض البحر
وذهب به التيار إلى غير عودة
وقد التهبَتْ الأمواج وبدت كالشعلة المتقدة.
وها أنذا يا حبيبي هذا المساء
والعطر لا يزال يفوحُ من هذا الرداء

تنسَّم يا حبيبي ذكرى الورد الفوّاح
الذي قطفته من أجلك هذا الصباح
* * *

٢ – اسم

كنتُ قبل أن أراك مملوكة لك
وحياتي قبل وجودها كانت موهوبة لحبك
أدركتُ هذا كله عندما سمعت اسمك
يُنادى لأول مرة
فاضطربت نفسي واختلج حسي
وكأنما كانت روحك مخبوءةً في اسمك
فاستيقظت روحي على ندائك
وضاع صوتي وخفق قلبي.
نعم سمعتك، نسيتُ أن ألبي
إن جسدي كان ممتزجاً بجسدك
في غشية وسكرة
فحسبت أن اسمي
كان ينادى به لأول مرة.

* * *

لا تكتب إلي

لا تكتب إلي، إني حزينة وأكاد أموت في نفسي
إن الصيف بدونك هو الحب بغير نور
فقد طويت ذراعيَّ لأنهما أصبحا غير قادرين على أنْ يضما لك صدراً
ومن يطرق قلبي الآن فإنما يطرق قبرا
لا تكتب، لا تكتب، ولا تَسَلْ غير الله وغير قلبك إن كنت أحبك.
أمِن أعماق صمتك تقول إنك تحبني؟
لكأني أسمع ولكن يا أسفاه، فلن أستطيع إليك صعودا!
لا تكتب – لا تكتب، أخشاك وأتوقاك
وأخاف ذاكرتي التي احتفظت بصورتك وكثيراً ما تناديني
آه، لا تلوّح بالماء عذباً بروداً، لمن لا يستطيع له ورودا
لا تكتب فإن الخط الحبيب، هو صورة حية للشخص المحبوب
لا تكتب، لا تكتب، هاتين الكلمتين اللتين لا أجرؤ على قراءتهما:
ويُخيل لي أن صوتك يسكبهما على روحي
وكأنهما تلتمعان في ثنايا ابتسامتك
وتطبعهما كقبلة على قلبي
لا تكتبهما بربك.. هاتين الكلمتين: أنا أحبك
لا تكتب، لا تكتب.

* * *

الفتاة الشابة واليمامة

La Jeune fille et Le ramier

«إن الإشاعات تملأ الحديقة

هي تقول إن السماء ستمطر

كل شيء يرتعد خشية من الطوفان المقبل

وأنت أيتها الفتاة التي تتكئين على كتابك

بعد أن توقفت عن القراءة فيه

هل تبكين الحبيب الغالي الذي لم يستطع رؤيتك؟

* * *

هناك أرى يمامة مبللة الجناح في مكان ظليل

طريدة من بلوغ الأفق الذي تراه بعينيها

وهي تنادي رفيقها ناظرة إلى السماء

وهكذا فاليمامة كما أنتِ تتألم في العاصفة!

* * *

فلتمطر السماء، أيتها القلوب الجميلة التي تشكو الوحدة

وخلال مرور العاصفة سوف تولد عدة أشياء

هل تتفتح الورود بحرارة الشمس دون أن يسقيها المطر؟
وأنتم أيها العشاق الذين تنتظرون الحبيب
لماذا تشتكون؟».

* * *

مراجع عامة

1) M.G.Sismoe: «Secret of Marceline Desbordes» - ED. Jansenas 1944.
2) Marceline Desbordes – Valmore devant la critique – paris 1962.
٣) علي محمود طه (حب وحرب) القاهرة – ١٩٥٠.

سابعاً – هيلينا سيكورسكي

ولدت هذه الشاعرة البولونية في عائلة أرستقراطية، وقد تمتعت منذ طفولتها بجميع النعم من ثروة وأصل عريق وعائلة أرستقراطية، وهذا ما عدا نعمة واحدة هي نعمة البصر، فلقد ولدت عمياء!

ولهذا السبب لم تذهب هيلينا سيكورسكي إلى المدرسة، وإنما جاءت المدرسة إليها – إذا جاز التعبير – حيث جاء لها والداها بمجموعة من أفضل المدرّسين والمدرسات إلى المنزل العائلي.

وكانت هيلينا تعيد جميع ما تعلّمته كل يوم، على أسماع رفيقها في اللعب كارل، ابن الخولي المكلف بالعناية بحديقة المنزل.

ولم يكن كارل رفيقها في اللعب فقط، وإنما كان العين التي ترى فيها أيضاً، حيث كان يصف لها لون الزهور وضوء القمر ومنظر السماء وألوان الفراشات.

وعندما أصبح الطفلان كارل وهيلين في سن المراهقة وقعا في الحب، وأصبح الواحد منهما لا يستغني عن الآخر، وهذا ماجعل السيدة سيكورسكي تؤنب ابنتها هيلين وتأمرها بالتوقف عن رؤيته.

ولما لم تنزل الابنة عند طلب أمها، استدعت الأم والد الصبي كارل، وأمرته بأن يقنع ابنه بالابتعاد عن هيلين وإلا صرفته من الخدمة.

كان هذا الأمر أقسى من أن يتحمله الحبيبان، ولهذا تظاهرا بتنفيذه، ولكنهما كانا يتقابلان في السر ويتبادلان القبل البريئة ويتعاهدان على الوفاء مهما كانت الصعوبات.

ومع حلول الربيع شعرت الفتاة به يتفجر في جسدها وقلبها، وأرادت أن تُسجل هذه المشاعر الغريبة التي بدأت تعصف بها، فاستدعت شقيقتها الصغرى وأخذت تملي عليها ما تفيض به قريحتها:

«هذا هو الربيع اليافع المُشرق

فماذا أريد اليوم، وماذا أطلب؟

الأشجار أزهرت، والورود تفتحت

والسموات تألقت

ومن غصن كل شجرة تتدلى ثمرة

وفي لب كل وردة تحوم نحلة

وعلى كل سماء تتمزق غيمة وتسطع شمس.

* * *

أريد أن أضع قلبي على قلبك
وشفتيك على شفتي
كي أحس قبلاتك تنفرط في نفسي كأوراق الزهر
وتترقرق في روحي كزرقة السماء.
دع أناملك تتحرك في بطء كهمس الأسرار
وتتساب في ليونة كليونة قوارب النجاة
وتحتضن أناملي
كي تصبّ في عروقي الخامدة سيل الربيع وعصارة الحياة!
أيٌّ معنى للشجرة المزدهرة دون جسمك
وأية قيمة للوردة الناضرة بدون خدك
وأية لذة للثمرة الشهية بدون فمك
وأية روعة للسماء الصافية بدون جبينك الناصع الوضاء؟

* * *

منكَ الربيع يتغذى، وبكَ الربيع ينمو
وفيكَ الربيع يُنشد جماله
ويخلّد صورته الساحرة على مدى الأجيال،
فقرّ عيناً واهنأ.

ومادمت أنتَ رجع صدى الكون،

فلابدّ أن أكون أنا رجع صداك.

يا أيُّها الحبيب الذي لم أر قبله ضوء الشمس

ولم أعرف قبله مجد الربيع.

*   *   *

هو ذا العالم يندمج في جمالك

اندماج البذرة في الأرض

ويسري في كيانكَ مسرى الفكر في العقل

ويتغلغل في صدرك تغلغل الحبّ في القلب

ويتسلل في دمائكَ تسلل النار في النار!

فتعال إلي وخذني

خذني إلى مدينة الأحلام

إن نفسي حزينة

ولن تجد الراحة والفرح

إلا في مدينة الأحلام!

*   *   *

إنها هناك (أي مدينة الأحلام)
إنها هناك، حيث المراعي الخضراء
والحقول الزرقاء
وحُمرة الأصيل الذهبية
ولآلئ النجوم تتلامح كالعيون
وترمق وجهكَ يا حبيبي!

* * *

إنها هناك.. هناك حيث النسيم يهمس
والظل يحضن، والشجر يخفي
والفراش العاقل يخون الورد الزاهر
ويفتح أجنحته، ثم يطبقها عليكَ يا حبيبي!

* * *

إنها (مدينة الأحلام) هناك
هناك حيث الحب يلمع، والصدق يمرح
والثقة تُغني
والوفاء الهادر المجنون يتدفق
ويغمر وجهك يا حبيبي!

* * *

خذني إلى مدينة الأحلام

وسواء أكان حلمي يخدعني

أم كنتُ أنا الذي أخدع نفسي

فإن نفسي حزينة يا رب

وتأبى أن تموت قبل أن ترى

ولو يوماً واحداً، مدينة الأحلام»!

* * *

وقعت هذه الرسالة في يد الأم، فتأكدت من أن ابنتها هيلينا ترتبط بعاطفة حب عميق مع ابن الخولي (كارل) فصرفت الأب والابن من الخدمة.

وفي هذا الوقت أشيع بأن طبيباً نطاسياً ماهراً مختصاً بجراحة العين، سيزور القصر، فصممّت الأم على عرض هيلينا عليه، لإجراء العملية التي يمكن أن تردّ إليها بصرها.

وعندما ذكرت لها أمها أن العملية نجحت وأصبح بوسعها رؤية السماء والشمس ردّت عليها باكية:

– أماه! النور أبيض، النور جميل، ولكن يُخيل إليّ أنه كان بالأمس أجمل، والشمس إنها حمراء ولكنها مخيفة.. ليس في لونها ما

يشبه الحب كما كان يقول كارل. أماه! لا معنى لعودة البصر دون كارل، بل لا معنى للحياة نفسها دون كارل.

ورقّ قلب الأم لها وأعادت الفتى كارل وأباه إلى الخدمة، وعادت الإشراقة والبسمة إلى الفتاة.

ولم تجد الأم من عبارة تقولها، بعد شكر الله على نعمته، أفضل من قبول كارل زوجاً لهيلينا:

– خذيه يا ابنتي زوجاً لك فأنتِ تستحقينه، وهو يستحقك!

* * *

وبعد زواج هيلينا أرادت أن تكافئ زوجها كارل بقصيدة شعرية فاضت بها قريحتها فكتبت:

«لم أعرف سواك في حياتي يا حبيبي

كنت زهرة على وشكِ الذبول

فضممتَني إلى صدرك، وغمرتني بعطفك

وأغدقت علي حناناً كالندى

وحباً ساطعاً كشعاع الشمس!

كنتَ حبيبي فأصبحتَ حبيبي وزوجي وأخي

يا لنعمة الأخوة تؤلف بين قلبين في ظل زواج

إني لأشعر بأن أفكاري وعواطفي ودمائي وكل عرق ينبض بي
قد استقرّ فيكَ يا زوجي
وبات قطعة من فؤادك يا حبيبي
وشطراً من روحكَ يا أخي!
أنتَ أخي في القلب والجسد
أنت أخي في البؤس والفرح
أنت أخي في القلب والنور
وقد اخترتكَ وحدكُ لنجتازَ معاً نفس الطريق»

*   *   *

ثامناً – كارولينا نيرن (١٧٦٦ – ١٨٤٥):

Carolina Nairn (1766 – 1845)

شاعرة سكوتلندية، اسمها الحقيقي كارولين أولبرايت، وهي من مواليد «بيرتشاير» في سكوتلندا يوم ١٦ آب ١٨٦٦، وتوفيت في مدينة «غاست» يوم ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٤٥.

نظمت عدة قصائد لعل أهمها:

1) Rest is not here. — الراحة ليست هنا.

Charlie is my darling — حبيبي شارلي

2) Will you not come back again لا تعد بعد الآن

3) Lullaby. لوللابي

4) Will you love me when I am old? هل تحبني عندما أصبح عجوزاً

وهاهي ترجمة هذه القصيدة الأخيرة:

«هل ستحبني عندما أصبح عجوزاً»؟

«أود أن أسألك يا عزيزي
سؤالاً ناعماً بصوت هامس
سؤالاً يحير قلبي كثيراً
كلما أتت لمحة من الوقت
ومضت فترة أخرى.
إن حبُّك لي حقيقي وصادق كما أعلم
ولكن حتى الحب الصادق يفتر مع الزمن
وهذا بالذات ما أود سؤالك عنه:
(هل ستحبني عندما سأتقدّم في العمر؟)

* * *

إن صَبْوَةَ الحياة سرعان ما تخفُت
عندما تقرع أجراس العشيّة (النهاية)

ولكن قلبي سوف لن يشعر بأي حزن
إذا كنت ستظل تحبني
عندما أتقدم في العمر.

* * *

فلتسقط تيارات الحياة جميعاً
فنحن، أنتَ وأنا، نبحر متعاضدين
آمِلَيْن بقرب الوصول إلى الشاطئ
آمنين بالرغم من شدة الأمواج العاتية.
هذا يوم ساطع
والسماء خالية من الغيوم
ولكن يمكن لليل القادم
أن ينشر بعض السحب
وبالرغم من تجمع العواصف فيما حولنا
فإني سأظلّ أسألك:
(هل ستظل تحبني عندما أتقدم في العمر)؟

* * *

عندما يبدأ شعري يأخذ اللون الأبيض
لون أكوام الثلج
وعندما تزداد العتمة أمام عيني

أكثر فأكثر
سيكون بودي أن أستند إلى ذراع حنون
وأنا أجتاز الوادي
الذي لابد من عبوره
لذا أود سؤالك بأن تقدم لي وعداً صريحاً
وعداً يعادل كل ما يحوي العالم من ذهب
وهذا الوعد يا حبيبي هو أن
تظل تحبني عندما أتقدم في السن
وأصبح امرأة عجوزاً»!

* * *

الفصل الرابع

شاعرات العصر الحاضر

(١٨٠١ – ٢٠٠٠)

* مقدمة:

عرف الغرب نهضة صناعية كبرى في القرنين التاسع عشر والعشرين، وكان من الطبيعي أن تقود هذه النهضة إلى ثروة معرفية وثقافية غزيرة، وانعكس هذا بشكل خاص على الفنون والآداب ومنها الشعر.

وقادت الحركة الرومانسية، التي عمّت العالم في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، إلى الاهتمام بالذات الشاعرة، وهذا ما أدى إلى شيوع الشعر الذي يتغنى بالطبيعة والعلاقات الإنسانية التي يُعتبر الحبّ المحرك الأول لها.

ولهذا يندر وجود شاعر في الشرق أو الغرب لم يَتَغنَّ بالحب في قصيدة أو أكثر من شعره. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن

التقدم الاجتماعي، والحركة النسائية لتحرير المرأة، ومساواة المرأة بالرجل، قد أنتجت المزيد من الشاعرات اللواتي أصبح عددهن وجرأتهن في التعبير عن النفس تساوي ما لدى الرجال، بل وتزيد أحياناً.

وبما أننا توخيّنا تغطية أكبر عدد من البلدان الأجنبية في دراستنا هذه، لذا كان من الطبيعي أن يكون عدد الشاعرات اللواتي سنذكرهن أكبر من عدد الشاعرات اللواتي جاء ذكرهن في الفصول الثلاثة السابقة.

وسنقسم هذا الفصل إلى فرعين:

- الفرع الأول خاص بالبلدان الأجنبية وسنذكر فيه حوالي ثلاثين شاعرة من مختلف البلدان الغربية، بما في ذلك اليابان وأوستراليا.
- والفرع الثاني خاص بالبلدان العربية وسنذكر فيه حوالي ستين شاعرة معاصرة من مختلف البلدان العربية.

* * *

الفرع الأول

الشاعرات الغربيات المعاصرات

١- شاعرات بريطانيات

أولاً – إليزابيث باريت براوننج (١٨٠٦ – ١٨٦١)

Elizabeth Barrett Browning (1806 – 1861)

شاعرة إنجليزية، اسمها الحقيقي إليزابيث باريت، ولكنها اكتسبت اسم براوننج عن طريق الزواج.

ولدت يوم ٦ آذار ١٨٠٦ في كنف عائلة ميسورة ذات أملاك زراعية في مزرعة (Hope End)، ضمن مقاطعة (هيرتفورد شاير) بإنكلترا، وهي أكبر إخوتها العشرة.

بدأت تكتب الشعر في سن الرابعة عشرة، وقد صدر أول ديوان لها بعنوان «معركة الماراثون The battle of marathon» ونَشَرهُ والدها في خمسمائة نسخة ووزعه دون علم منها!

وبعد هذا التاريخ بسنة واحدة (أي في عام ١٨٢١) كانت إليزابيث تمتطي أحد الخيول في مزرعة العائلة فجِفلَ جوادها فجأة وأسقطها عن ظهره، وكانت نتيجة هذا الحادث كسراً في عمودها الفقري ظلت تعاني منه طيلة حياتها تقريباً.

وكان أن انعزلت إليزابيث في المنزل، وانصرفت إلى القراءة والكتابة ودراسة الأدبين اليوناني واللاتيني، على يد أساتذة خصوصيين، وهذا ما مكنها من ترجمة كتاب تحت عنوان: «Promotheus Bound» إلى اللغة الإنجليزية.

وفي النصف الثاني من عشرينات القرن التاسع عشر حلّت بإليزابيث مصيبتان إليمتان وهما وفاة والدتها عام ١٨٢٨، وغرق أخيها إدوارد عام ١٨٢٩، وهذا ما جعلها تكره الحياة في الريف والمزرعة، فارتأى أبوها هجرة العائلة بكاملها إلى لندن والاستقرار فيها، وتمّ هذا فعلا عام ١٨٣٢.

وبعد استقرار إليزابيث في لندن نشرت واحداً من أهم دواوينها وهو: «The Seraphim and Other Poems»، وقد وصفناه «بالأهم» لأنه عرّف بها الجمهور الإنجليزي المثقف في إنكلترا بكاملها.

وبعد نشر ديوانها هذا في عام ١٨٣٨ بدأت تتبادل الرسائل مع كبار ملهمين من أمثال: إدجار آلن بو، جيمس لوويل، توماس

كارلايل.. وفي عام ١٨٤٤ بعث لها شاعر مبتدئ اسمه روبرت براونج برقية تفيد بأنه قرأ ديوانها الأخير وأعجبه، وطلب منها مقابلتها للتعارف والحوار في شأنه وتمت المقابلة فعلاً.

وبالرغم من أن إليزابيث كانت أكبر من روبرت بعدة سنوات، وبالرغم من أنها كانت قليلة الحسن والجمال، فقد أحبّها روبرت، وأما هي فقد أُغرُمِت به حتى حدود الهوى، وعبّرت عن عِشقها له صراحة في قصيدة جديدة لها في ذات العام الذي التقته فيه وذلك تحت عنوان: «Lady Geraldin Courtship».

وقد كتمت إليزابيث علاقة حبها عن عائلتها لأنها كانت تعلم علم اليقين بأن والدها لن يوافق على زواجها بسبب إصابتها السابقة في ظهرها، ولأنها أصبحت بمثابة الأم لإخوتها جميعاً منذ موت والدتها عام ١٨٢٨.

ولهذا ادّعت إليزابيث في بداية عام ١٨٤٦، أنها ستسافر إلى إيطاليا في رحلة سياحية عادية، وعندما وصلت إلى هذا البلد كان حبيبها روبرت قد سبقها إليه، وتزوج الشاعران في مدينة فلورنسا يوم ١٢ أيلول ١٨٤٦، وبقيا في إيطاليا حيث رزقا بولد وحيد أسمياه «بن Pen» - أي قلم! - عام ١٨٤٩.

وقد ألهمها حبها لزوجها ولابنها مجموعة القصائد الأربع والأربعين التي نشرتها في ديوان يحمل عنوان «قصائد من البرتغالية Sonnets from The Portuguese» عام ١٨٥٠،

وأهمها السوناتا الرابعة عشرة التي تبدأ بالشطرة: «إذا كان عليك أن تحبني، If thou must love me» التي سنورد نصها في صفحات تالية.

وفي إيطاليا أصدرت إليزابيث (باريت) براوننج كتابها الجديد الذي يحمل عنوان: «Casa guidi windows»، وناصرت فيه قضية الشعب الإيطالي، الذي كان يناضل في سبيل استقلاله ووحدته.

ثم أثناء الزيارة التي قامت بها إلى لندن عام ١٨٥٧ أصدرت كتابها الجديد «Aurora Leigh»، الذي دافعت به عن المرأة وعن حقها بالتساوي مع الرجل في جميع مناحي الحياة، وخاصة في الحرية والحب.

وأتبعتْ هذا الكتاب بديوان أخير ذي طابع سياسي هو «قصائد أمام الكونجرس Poems Before the Congress» عام ١٨٦٠.

وبعد عودتها إلى إيطاليا في هذا العام نفسه لم تعش طويلاً حيث فارقت الحياة في مدينة فلورنسا يوم ٢٩ حزيران ١٨٦١.

وبعد وفاتها لم يرغب زوجها بالبقاء في إيطاليا فاصحطب ابنه الفتى (بن) وجثمان زوجته الحبيبة وعاد إلى بريطانيا، حيث دُفنت هناك.

والحقيقة أن روبرت براوننج لم يكن جاحداً تجاه حب إليزابيث له، وكان يقابلها حباً بحب، بالرغم من كونها أكبر منه

سناً، ونصف عاجزة، ولا تتمتع بقدر كبير من الجمال. ولكن ما قالته فيه من قصائد حب في «سوناتاتها» الشهيرة فرض عليه محبّتها إلى الأبد حتى تاريخ وفاته في ١٢ كانون الأول ١٨٨٩.

وهذه القصائد في رأي غالبية النقاد من أجمل ما كتب من قصائد الحب، ويزيد في جمالها أنها نُظمت من زوجة تجاه زوجها، أي ضمن إطار الزواج الشرعي لا خارجه.

والرائع في هذا الحب أنه انتصر على جميع المصاعب، وأصبح مضرب المثل للإخلاص الزوجي المتبادل، والمشاعر الرومانسية التي تتجاوز إطار الواقع في كثير من الظروف، إلى الحد الذي جعل هذين الزوجين الشاعرين العاشقين يفترقان عن بعضهما أحياناً، بإرادتهما معاً، لكي يشعرا بلهفة اللقاء من جديد!

وبالرغم من أن أغلب قصائد الحب التي كتبتها كانت في تصوير الحب بين الزوجين، فإن هذا لم يمنعها من الاعتراف بالحب، وبحق الحب حتى خارج إطار الزواج، حيث تقول في إحدى قصائدها مثلاً: «هاهي يدٌ ستبقى بيضاء إلى الأبد، دون أن يزيّنها خاتم زواج»!

كما إنَّها كانت تؤمن بأن المرأة التي تحب لا تخون، ولاتنتقم من حبيبها إذا خانها، ولا من غريمتها في الحب.

حيث تقول في مقطع يصور إحدى بطلاتها وهي على سرير الموت مخاطبة شقيقتها:

«لا تبكِ عليّ أيها القلب الغالي
كل شيء سمعتيه كان من الأكاذيب التي تُجمّل الحديث
إذا قلتُ لك إنه قد جرحني.
أكون قد قسوت بالكلام عنه
لأني مريضة ولست على يرام!
كل كلماته لي كانت لطيفة وطيبة،
كان يحترمني، ولكن الدماء التي تجري في عروق الأنثى
هي دوماً دماء ضعيفة»!

- شعرها :

كانت قصائد إليزابيث براوننج الأولى تدور حول المواضيع الدينية والاجتماعية العامة، ولكنها مالتْ بعدئذ عن هذه المواضيع منذ قصيدتها الموسومة: «تأملات على شاطئ البحر Asea-Side Meditation»، التي تحوي نظرة خاصة لأسباب طرد آدم وحواء من جنة عدنْ!

وانتقدت تشغيل الأطفال في المصانع في قصيدتها «صرخة الأطفال The cry of the Children».

وبعد هذه القصائد جاءت مرحلة قصائد العشق واللهفة للزوج الرفيق والحبيب، وكان ذلك في ديوانها «قصائد من البرتغالية Sonnets from The Portuguese».

وهي كما أسلفنا أربع وأربعون سوناتا أحلاها الأولى، والسادسة، والسابعة، والرابعة عشرة، والخامسة عشرة، والخامسة والثلاثون، والأربعون، والثالثة والأربعون.

وقد اتبَّعَتْ إليزابيث في نظم هذه السوناتات الطريقة الإيطالية المعروفة (lambic) منذ زمن اليونان، أي أن يكون طول القطعة أربعة عشر بيتاً في مقطعين: المقطع الأول من ثمانية أبيات ويسمى «أوكتاف Octave»، والمقطع الثاني من ستة أبيات ويسمى «سيتيست Setest».

والسطر الأول من الأوكتاف غالباً ما يطرح سؤالاً أو تساؤلاً تجيب عليه الشاعرة في الأبيات الثلاثة عشرة التالية، ففي السوناتا الرابعة عشرة مثلاً تطرح تساؤلاً في البيت الأول ضمن صيغة «إذا كان عليك أن تحبني if thou must love me»، ثم تجيب عليه في بقية أبيات القصيدة.

وفي السوناتا الثالثة والأربعين تفعل الأمر نفسه حيث تلقي السؤال التالي في بيتها الأول: «كيف أنا أحبك How do I love thee»، وتعطي الجواب في الأبيات الباقية.

وفي السوناتا الخامسة والثلاثين تطرح في بيتها الأول التساؤل الأزلي عن طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة وهكذا...

وكان شعر إليزابيث براوننج في جميع قصائدها تقريباً شعراً سلساً سهلاً، صادقاً، وهاهي بعض شهادات معاصريها عنه:

- يقول الناقد باري كورنوول عنها: «كان شعرها أجمل شعر كتبته امرأة منذ قيل الشعر».
- ويقول والتر سافيج عنها: «لست أعلم أن أحداً قال شعراً أو يستطيع أن يقول شعراً كهذا الشعر في أي عصر من العصور». وقال زوجها روبرت براوننج عن شعرها: «يكشف شعرها عن طبيعة ملائكية تصدر عن قلب فيه قبس من النور الإلهي».

وردّت هي على تقريظ زوجها لها بالقول: «إنّ زوجي يستحق التقريظ أكثر مني عشرين مرة»

نصوص مختارة :

وفيما يلي الترجمة العربية لثلاث قصائد من نظم إليزابيث براوننج:

إذا كان عليك أن تحبني – If thou must love me

«إذا كان عليك أن تحبني
فليكن ذلك بلا سبب
إلا سبب الحب نفسه!
لا تقل إنني أحبها لابتسامتها
أو لنظراتها، أو لطريقتها اللطيفة في الحديث
أو لبراعتها في التفكير، التي تتفق مع ما أريد

والتي تعطي شعوراً جميلاً بالرضى
في مثل هذه الأيام!
ذلك لأن مثل هذه الأشياء
يا حبيب الروح، يمكن أن تتبدّل
أو أن يختلف رأيك فيها مع الزمن
والحب الذي قام يمكن أن يتبدد!
لا تحبني كذلك شفقة بي
وأنت تمسح الدموع عن خدي
لأن المخلوق يمكن أن ينسى البكاء
فينشقَّ هناؤك على طوله
ويزولُ حبك عندئذ!.
لكن أحببني باسم الحب وللحب فقط
ولأقصى درجة يمكنك أن تحبّ بها
حباً يدوم إلى الأبد»

* * *

القبلة الأولى – The First Kiss

«في المرة الأولى التي قبّلني فيها قبَّل يدي فقط،
تقاسيم هذه اليد التي أكتب بها،
ومنذ ذلك الوقت غدت يدي أكثر نظافة وبياضاً
غَدَتْ أكثر بطءاً في الرد على تحيات الآخرين

وأكثر سرعة في الأمور الأخرى
وعندما تتكلم الملائكة، فعن خاتم من الحجر الكريم
لا يمكنني ارتداؤه هنا، أراه بوضوح أمام ناظري!
أما القبلة الثانية فقد كانت في مكان أعلى من الأولى
وبالرغم من أنها استهدفت الجبين
فقد وقعت على الشَعر.
وليس من الضروري أن أذكر أنّ هذا
كان دليلاً كافياً على الحب، تاج الحب الذي أملكه
مع بعض المقدمات الحلوة لذلك.
أما القبلة الثالثة فكانت على شفتيّ
ثم إلى ما هو أدنى منهما!
وكان لونهما أرجوانياً بشدة
إلى الحد الذي جعلني فخورة بذلك وقلت:
(آه يا حبيبي، لقد ملكتك الآن!)».

* * *

هل أستطيع رؤية وجهه – Could I see his face

«نعم، لقد بكيت بين ذراعيه ولكن
هل ارتميت على صدره
أم إنَّ ذراعيه هما اللذان التفا حولي؟

وهل خدّاي الدافئان اللذان غطتهما الدموع
كانت هي دموعي أم دموعه؟
وأي واحد من قلبينا الكبيرين المتفجرين
كان يهتز في صدري؟
لم أكن أعلم بأنه هناك كلمات
لها من قوة التعبير كما لو أنها كانت معجونة بالنار
أو أن هناك عناقاً طويلاً وصامتاً
يمتد كأنه ليلة من ليالي النشوة
وكذلك الأنفاس العميقة المرتجفة
التي تؤهل بعدها لمجيء أي شيء
يمكن أن يُعبّر عنه بالكلمة أو القبلة».

* * *

بعض المراجع

1) Last poems of E.B.Browning – Edited by Robert Browning.
2) New poems with Robert Browning – Edited by F.G.K,1924.
3) Complete work of E.B.Browning – edited by charlotte porter and Helen A klarke (6volumes), 1960.
4) A Bibliograhy of Browning – by: Warne Barnes – 1967.
٥) سمير شيخاني: «أحداث وأعلام» – المجلد الثاني – ص٢٧.

* * *

ثانياً - إميلي برونتي (١٨١٨ – ١٨٤٨):

Emily Bronte (1818 – 1848)

– حياتهـــا:

اسمها الكامل إميلي جين برونتي، وكانت واحدة من ثلاث شقيقات مولعات بالأدب هن إميلي وشارلوت وآن، وكن يكتبن بثلاثة أسماء مستعارة مشتقة من أسمائهن الحقيقية وهي كوريل (شارلوت)، وإيليس (إميلي)، وآكتون (أن)، وأما اسم العائلة المستعار فكان (بيل) بدلاً من (برونتي).

واتفقت الشقيقات الثلاث على الكتابة عن مملكة وهمية اسمها «آنجريا Angria»، كانت تناضل ضد مملكة منافسة لها اسمها «غوندال Gondall».

كانت إميلي خامس طفل بين ستة أولاد (خمس بنات وولد واحد) لرجل دين بروتستانتي إيرلندي الأصل هو القس باتريك برونتي، وتمت ولادتها يوم ٣٠ تموز ١٨١٨ في مقاطعة يوركشاير الإنجليزية.

وكان عمر إميلي سنتين فقط عندما انتقلت العائلة برونتي من يوركشاير إلى العاصمة لندن، ثم في العام التالي توفيت الأم وعاشت البنات الخمس دون أم.

وفي عام ١٨٢٥ توفيت الشقيقتان الأكبر سناً في عائلة برونتي (ماريا وإليزابيث) بمرض الطاعون، وبقيت الشقيقتان الثلاث

اللواتي احترفن مهنة الأدب بعد ذلك وهن شارلوت وإميلي وآن، وشقيق واحد اسمه (برانويل) توفي بدوره عام ١٨٤٨.

والثابت أن إميلي قد ارتبطت بعلاقة حب مع أحد الشبان الإنكليز في فترة صباها التي لم تدم طويلاً (١٨٣٥ – ١٨٤٥)، ولكنها كانت متكتمة جداً حول هذه العلاقة.

كما إنّ المصائب التي حلّت بها في فترة صباها (وفاة شقيقتيها الأكبر، اكتشافها أنها مريضة بالسّل، تعاطي أخيها برونويل لمادة الكوكائين) قد أنستها الاهتمام بحياتها العاطفية.

وقد دخلت في حالة إحباط شديدة بعدما توفي أخوها الوحيد أوائل عام ١٨٤٨، فأهملت نفسها طبياً ولحقت به نتيجة لاستفحال مرض السل في صدرها يوم ١٩ كانون الأول ١٨٤٨.

اشتهرت إميلي برونتي بكتابة روايتها الرائعة «مرتفعات وذرنج wuthering heights»، ولكنها نظمت قصائد شعرية سلسة أيضاً، وخاصة في مجال البوح والحب، وأشهر هذه القصائد:

1) The prisoner — الأسير

2) Remembrance — أشياء للذكرى

3) Love and friendship — حب وصداقة

4) The visionary — نبوءة

5) No coward soul is mine. — أنا لست جبانة

وأشهر ديوان نشرته مع شقيقتيها كان بعنوان:

Poems by currel, Ellis and Acton Bell – London – 1846.

وأما ديوان قصائد إميلي بمفردها فقد تأخر صدوره حتى عام ١٩٤١، وتم نشره تحت عنوان:

The complete poems of Emily Bronte – 1941.

– قصيدة مختارة:

وها هي الترجمـــة العربيـــة لقصيدتها «أشياء للذكرى Remembrance»:

«أنت الآن ميت تحت التراب
ومتجلد تحت هذه الأكوام من الثلج التي تكدّست فوقك
أنت أبعد من أن أتمكّن من إنقاذك من البرد
الذي يخيّم على قبرك الكئيب
ولكن هل نسيتُ أنا حبي الوحيد، حبي لك؟
بعد أن فصلني عامل الزمن أخيراً بأمواجه المختلفة عنك!

* * *

الآن بعد أن أصبحت وحيدة فإن أفكاري لم تعد ترفرف
حول الجبال الممتدة على شاطئ أنجورا
إنها تريح أجنحتها الآن حيث توجد الخضرة

وأوراق السرخس التي تغطّي بساط الأرض،
ولكن قلبي النبيل لا يزال يحبك أكثر وإلى الأبد!

* * *

إنّ البرد في هذه الأرض قد مال للاعتدال
وأيام منتصف كانون الأول القاسية
قد تحوّلت إلى ربيع في هذه التلال السمراء!
منتهى الإخلاص بالتأكيد
أن تتذكّر الروح
كل هذه السنوات من التبدّل والألم!
يا حبيبَ الصبا، اعذُرني إن كنت نسيتك
في هذا الوقت الذي تحملني موجة القدر لوحدي.
إن الرغبات العارمة والآمال المظلمة تكتنفني،
آمال مظلمة بالفعل ولكنها لا يمكن أن تؤذيك.

* * *

لم يكن هناك شمس أخرى (غير شمسك) تنير قلبي
ولم يكن هناك نجمة أخرى تضيء لي الطريق
كل السعادة في حياتي كانت بفضل حياتك الغالية
وكل سعادتي في قبريّ الأزلي ستكون معك!

* * *

لكن عندما انتهى عهد الأحلام الذهبية،
وحتى مشاعر اليأس لم تعد لها أية قوة للدمار،
تعلمت عندئذ كيف يمكن أن يكون الوجود ذا قيمة
كيف يكون قوياً ويمكن أن يعيشه الإنسان بمعزل عن الفرح.

* * *

عندها تمكنت من أن أكبح الدموع العاطفية التي لاجدوى منها
وأفطم روحي الشابة عن توقها إليك
وأن أمنعها بقوة من الاندفاع نحو الأسفل،
نحو القبر الذي أشعر أنه قد أُعد لي بإحكام!

* * *

ومع هذا فإنني لم أجرؤ على تركه ينتظر
لم أجرؤ على قطع أواصر الذكريات المؤلمة،
إن الواحد منا يعبُّ بشغف هذا القلق الربّاني
فكيف يمكنني أن أطلب إذن أن يكون عالمي فارغاً من جديد
كما كان؟!

* * *

ها أنا أموت، ولكن عندما يضغط القبر
على القلب الذي أحبّك مدة طويلة

عندما لم يعد بوسع المعزَّة الأرضية التعويض
أصبحت الأفراح الدنيوية تبدو دون قيمة لي

* * *

أنا لا أبكي الآن، ولكني أفكّر
بأنني قد اجتزت أمامك بحراً من الظلمات
ولقد رسوتُ أخيراً بسلام وارتحت
في الوقت الذي انقضى فيه الحداد وجفّتْ الدموع

* * *

لذا لا يأتيني البكاء إلا عندما أشعر
بأنني سأتركك هنا في خضمِّ الحياة
في هذا المحيط الكئيب وأنتَ تبحر في الظلام
العواصف من حولك، والأخطار أمامك
دون أن يكون هناك بصيص ضوء يهديك إلى المرفأ

* * *

ولكن مهما بدت الحياة طويلة أو قصيرة
فإنها ليست شيئاً بالنسبة للخلود
ونحن نذهب إلى أسفل لنلتقي في الأعالي
حيث لا يمكن للأجيال السعيدة أن تموت».

* * *

ثالثاً - كريستينا روزيتي (١٨٣٠ – ١٨٩٤)

Christina Rossetti (1830 – 1894)

– حياتها:

اسمها الكامل كريستينا جورجينا روزيتي، وهي ابنة أحد المناضلين السياسيين الإيطاليين (غابرييل روزيتي)، الذي حُكم عليه بالنفي إلى إنكلترا، فاستقر في هذه الدولة واكتسب جنسيتها هو وأولاده.

ولدت كريستينا في مدينة لندن يوم ٥ كانون الأول ١٨٣٠، وتوفيت بالسرطان في هذه المدينة نفسها يوم ٢٩ كانون الأول ١٨٩٤.

بدأت تكتب باسم مستعار هو «إيلين آللين Ellen Allyn»، وكانت تتبارى مع شقيقيها ويليام مايكل، ودانتي غابرييل، في نظم الشعر وكتابة القصة القصيرة.

كانت قارئة جيدة وقد قرأت ديوان الشاعر الإيطالي دانتي ألليجري لما كانت في سن الثامنة عشرة.

وعندما أسس أخوها دانتي غابرييل مجلة أدبية بعنوان « The Germ» عام ١٨٥٢، بدأت تكتب فيها واشتركت في إدارتها.

وفي مرحلة صباها رفضت كريستين عرضين للزواج: الأول من الفنان جيمس كوللينسون بسبب تحوله من المذهب الأنجليكاني إلى المذهب الكاثوليكي الروماني عام ١٨٥٩،

والثاني من صديقها تشارلي كايلي عام ١٨٦٤ لكي تبقى إلى جانب والدتها المريضة!

وفي عام ١٨٦٢ أصدرت كريستينا أول ديوان لها وكان بعنوان «Goblin Market»، وهو يعتمد بشكل أساسي على قصيدة تحمل هذا العنوان نفسه، وهي قصيدة سردية Narrative تتحدث عن شقيقتين هما «لورا Laura» و«ليزي Lizzie»، وتمثل الأولى «الضمير» بينما تمثل الثانية «عنصر الشهوة».!

وعموماً نجد أثر الدين والحياة الروحية ظاهراً بعمق في أعمال كريستينا روزيتي الشعرية والنثرية، ففي قصيدتها «Monna Innomina» التي يضمها ديوانها « A pageant and other poems» تنفي روزيتي وجود الحب الإنساني وتعترف بدلاً منه بالنقاء والطهارة الدينيين.

وبحسب أخيها دانتي فإنها أَلّفَتْ أيضاً قطعة نثرية تحت عنوان «قصص روحية Devotional Pieces» تؤكد فيها على اتجاهها هذا.

- قصائد مختارة:

إن أفضل القصائد التي نظمتها كريستينا روزيتي هي التي تحمل العناوين التالية:

1) Remember	تذكّــر
2) After Death	بعد الممات
3) The first day	اليوم الأول
4) Mirage	سراب
5) Echo	صدى.

وها هي الترجمة العربية لقصيدتين من هذه الخمس، مع قطعة إضافية بعنوان «أغنية».

صدى Echo

«تعالَ إليَّ عبْرَ صمت الليل
تعال إليَّ في صمت الحُلم الناطق
تعال إليَّ بخدّين مستديرين ناعمين
وبعينين لامعتين كما ضياء الشمس على مياه الغدران.
تعال إليَّ ثانية بدموعك
أيُّها الأمل، أيتها الذكرى
أيها الحب الذي مضى مع السنوات المنقضية!

* * *

أيها الحلم كم أنت حلو، حلو جداً وإلى حد المرارة
أيها الحلم الذي لا نصحو منه إلا في جنات الفردوس
حيث الأرواح المفعمة بالحب تنتظر لتلتقي

بعيون عطشى تتشوق للقاء
تنتظر انفتاح الباب البطيء الذي يسمح بالدخول!

* * *

أتتني الأحلام تنبئني بأنه يمكن أن أحيا
أن أحيا حياتي الحقيقية ثانية
بالرغم من برودة الموت،
لقد أتاني في الحلم أنه يمكنني أن أمنح
نبضة مقابل نبضة، ونفساً مقابل نفسْ
تكلم بصوت منخفض، واحن جسدك تماماً
إلى أقصى حد تستطيعه يا حبيبي
إلى أقصى حد»

* * *

تذكّر Remember

«تذكّرني إذا أدركني الموت
ورحلتُ بعيداً إلى تلك الأرض الساكنة
حيث لا يعود بوسعك بعد ذلك أن تضمني بيديك
ولا أن ألتفت إليكَ، ولو نصف التفاتة، وأنا راحلة.
تذكّرني عندما تتوقف يوماً بعد يوم
عن حديثكَ لي حول مستقبلنا الذي خططت له

يكفي أن تتذكّرني فهل تفهم؟!
سيكون الوقت متأخراً على التشاور وعلى الصلاة
وحتى لو نسيتني لحظة قصيرة خلال ذلك
فلا تحزن، لأنه حتى لو تَركَتْ الظُلمة والتلف،
بقية من الأفكار التي كنتُ أملكها فيما مضى
فإنه من الأفضل لك أن تنسى مع ابتسامة،
فهذا خير من أن تتذكر مع الشعور بالحزن»

* * *

أغنية A song

«عندما أموت يا أعز الناس
لا تترنم لي بأية أغانٍ حزينة
ولا تزرع عند رأسي أية ورود
ليكن العشب الأخضر وحدَهُ على قبري
مع صنبور ماء وقطرات من الندى
وإذا شئت أن تتذكرني حسناً تفعل
وإذا شئت أن تتساني لكَ ذلك

* * *

سوف لن أرى الظلال
سوف لن أشعر بالمطر

ولن أسمع صوت العندليب!
غنِّ لي أنتَ كما المطر
إنّ هذا لن يغير من الأمور شيئاً
قد أذكر الأشياء صدفة
وقد أنسى صدفة كذلك».

* * *

رابعاً - آليس مينيل (١٨٤٧ – ١٩٢٢)
Alice Meynell (1847 – 1922)

اسمها الحقيقي آليس كريستينا جرترود تومبسون، وأما اسم «مينيل» فقد أضافته بعد زواجها من الناشر «ويلفريد مينيل» عام ١٨٧٧.

ولدت في بلدة «بارنس» قرب لندن يوم ٢٢ أيلول ١٨٤٧، وتوفيت في هذه المدينة نفسها يوم ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٢.

عاشت فترة من طفولتها في إيطاليا، وهذا ما أثر عليها روحياً حيث تحوّلت من الأنجليكانية إلى الكاثوليكية وهي في الخامسة والعشرين من عمرها عام ١٨٧٢، كما ألفت كتاباً دينياً تحت عنوان «المسيح في العالمين Christ in the Universes».

ثم بذلت جهداً ملموساً في مجال الكتابة الصحفية حيث عملت مع زوجها على إصدار مجلة أسبوعية تحت عنوان: «ويكلي

ريجيستر The weekly Register». ثم أتبعتها بمجلة شهرية بعنوان: «ميري إنجلندْ Merry England» بين ١٨٨٣ و١٨٩٥.

كان أول دواوينها الشعريّة تحت عنوان «استهلالات Preludes» وذلك عام ١٨٥٧، وهو يحوي أهم قصيدة لها: «قلبي سيكون روضة لك My heart shall be thy Garden».

وأهم قصائدها الأخرى هي:

التخلي	1) Renouncement
في الليل	2) At night
أوائل الربيع	3) in early spring
طائر يغني قبل الفجر	4) A thrush before dawn
شاعر من طرز واحد	5) A poet of one mood
السيدة فقر	6) The lady poverty
الراعية	7) The shepherdess

وهاهي الترجمة العربية لاثنتين من قصائدها:

قلبي سيكون روضة لك

My Hesart shall be thy Garden

«قلبي سيكون روضة لك

تعال يا من أنت لي إلى روضتك

لتقضي ساعات سعيدة

بين أجمل أفكاري، وأكبر ورودي

من جذورها إلى تيجانها ستكون لكَ وحدك
إنّك أنت الذي تزرع بذورها
حيث تتطاول نباتاتها نحو السماء المنفتحة
التي تحنّ عليها بوابل من المطر.
آه، ولكن العصافير التي ستبني أعشاشها
لكي تحافظ عليها من أجلك يا صديقي
قد طارت ورحلت عنها!

* * *

لأن هذه العصافير تأتي وترحل وتحدّ من شوقنا
شوقنا للعيش في الفصل الجميل والتعرّف على قادمين جدد
أنشدْ أغنية واحدة فقط من أغاني أشجارنا
قلبي يحمل مشاعر ثابتة.
وبالرغم من أن عينيك تسيطران على عيني
أشعر بأن قلبك قد انتقل بصمت
إلى فصول صيف أخرى
وطار بجناحين إلى ما وراء البحار الفضية»

* * *

التخلي Renouncement

«يجب ألا أفكر بكَ
لقد تعبت، ولكني قوية

تجنبت الأفكار التي تقود لذائذ الحياة
التفكير بك، وبالسماء العالية الزرقاء
أو بمقطع حلو من أغنية
وهكذا وراء الأفكار الجميلة التي تزدحم في صدري
هناك الأفكار بالأشياء المتوقعة
التي لازالت كما كانت، لا يمكن أبداً أن تُرى (تبدو للعيان).
هي لا تتوقف عن الاقتراب منكَ طيلة اليوم
ولكن عندما يحين النوم ويضع حداً لمصاعب الحياة اليومية
عندما يأتي الليل ويمنح الراحة للرقابة التي أمارسها
وأفقد عندها جميع مصادر قوتي
يجب أن أتخلص من بقية إرادتي وألقيها جانباً
مع مجيء الحلم الأول
الحلم الذي يأتي مع باكورة النوم
وعندها أركض وأركض
لكي أتحد مع قلبكَ»

* * *

خامساً - شارلوت مِّيُو (١٨٦٩ – ١٩٢٨)

Charlotte mew

شاعرة إنجليزية من مواليد لندن في ١٥ تشرين الثاني ١٨٦٩، وهي ابنة مهندس معماري.

أتمت دراستها الابتدائية في لندن، ولكنها عاشت بعد ذلك حياة تعيسة حيث فقدت ثلاثة من إخوتها بوباء الطاعون وهي لا زالت بعد طفلة، ثم تم وضع ثلاثة أخوة آخرين لها في مصحة عقلية، وتوفي والدها فلم يبق لها إلا أمها وشقيقة صغيرة واحدة اسمها «آن».

كانت شارلوت من أنصار حرية المرأة، وقد أحدثت ثورة في المجتمع البريطاني حين مارست التدخين علناً، وسافرت لوحدها في جولة سياحية إلى فرنسا.

تعرفت على عدد من الأدباء الإنكليز من الكتّاب والشعراء مثل توماس هاردي، وفيرجينيا وولف ولورد بايرون، ثم أصدرت مجموعة من القصص القصيرة، ولكن شهرتها كشاعرة غلبت شهرتها كقاصة، وخاصة بعد إقدامها على نشر مجموعها الشعرية الأولى «The Farmer,s Bride» في لندن عام ١٩١٦، قبل إصدارها في أمريكا تحت عنوان جديد هو « The Sunday Market» عام ١٩٢١.

وبعد إقدامها على الانتحار في ٢٤ آذار ١٩٢٨ تم نشر ديوان جديد لها تحت عنوان «The Rambling Sailor» عام ١٩٢٩، وهو يضم ٣٢ قصيدة من أصل الستين قصيدة التي نظمتها طيلة حياتها.

وأشهر هذه القصائد في رأينا خمس:

1) sea love	حبّ البحر
2) A quoi bon dire?	ما فائدة القول؟
3) the peddler	البائع المتجول
4) the farmer,s bride	عروس المُزارع
5) Saturday market	سوق يوم السبت

وهاهي الترجمة العربية للقصيدة رقم (٢) أعلاه:

ما فائد القول؟ A quoi bon dire?

«قبل سبعة عشر عاماً قلت لي
شيئاً يشبه في لفظه كلمة «الوداع»
كل إنسان أصبح يعتقد بأنك مت
ماعداي أنا!
وكذلك أنا عندما كبرت واشتد عودي
أصبحت أشعر بالبرودة عندما أسمع
هذا أو ذاك يقولون «الوداع»
ويعتقد الجميع بأنني قد مت
ما عداك أنتَ.

* * *

ثمَّ في صباح يوم جميل مشمس
سيجتمع شاب وفتاة
يقبلان بعضهما ويُقسمان

بأنه سوف لن يحب أحد آخر مثل حبِّهما
وعندما تسمع هذا سوف تبتسم أنتَ
بينما أمرّ بيدي على شعرك.

* * *

سادساً – إيديث سيتويل (١٨٨٧ – ١٩٦٤)

Edith Sitwell (1887 – 1964)

- حياتهـــا:

شاعرة وناقدة وروائية وكاتبة صحفية إنكليزية، ولدت في مدينة سكاوجورد (مقاطعة يوركشاير البريطانية) يوم ٧ أيلول ١٨٨٧، ضمن عائلة إنكليزية أرستقراطية، فوالدها هو السير جورج سيتويل، ووالدتها هي الليدي إيدا سيتويل. وكانت هي أكبر أولادهما، حيث لها شقيقان أصغر منها هما «أوسبرت Osbert» و«ساشفيريل Sacheverell»، وقد لعب هذان الشقيقان دوراً رئيساً في حياتها العاطفية والأدبية، على عكس علاقتها مع والديها التي كانت متوترة دوماً، ولعل هذا ما دعاها إلى هجر قصر العائلة في «رننشو هول Reninshaw Hall»، والانتقال مع مربيتها «هيلين روتهام» للعيش في لندن منذ عام ١٩٢٦.

وفي لندن أصدرت إديث سيتويل مجلة شعرية سنوية باسم «هويلز Wheels»، وشكلت مع شقيقتها نوعاً من «الحلقة

الأدبية» سرعان ما انضم إليها شعراء وأدباء آخرون مثل جرترود ستاين، ت.س. إليوت، آلدوس هكسلي وغيرهم...

وكان لهذه الشاعرة ذوق خاص في الماكياج (ابتدعت طلاء الأظافر باللون الفضي) والملابس والديكور، وجَذب اهتمام أغلبية المصورين والرسامين الإنجليز في عشرينيات القرن الماضي.

وكان من هؤلاء الرسام السريالي «بافيل تشيلتشيف Pavel Tchelitchev»، الذي أحبته إديث إلى حد الهوى، ولكن هذا لم يتزوجها بسبب ميوله الجنسية المثلية، وبقي الاثنان أصدقاء طيلة عشرين سنة تقريباً، كانت إديث خلالها ملهمة له وموديلاً لبعض لوحاته!

وتلقت إديث في خمسينات القرن العشرين لقب «دام Dame» الأرستقراطي، وشهادة الدكتوراة الفخرية من جامعة أوكسفورد، كما تحولت في عام ١٩٥٤ من المذهب الأنجليكاني إلى المذهب الروماني الكاثوليكي، وبقيت وفيَّة لمذهبها الديني الجديد حتى وفاتها يوم ٩ كانون الأول عام ١٩٦٤.

هناك قصة تروي حياتها ظهرت بعد موتها مباشرة (عام ١٩٦٥) تحت عنوان «Taking care of».

كما إنّ صديقتها الشاعرة الأمريكية لويز بوجان ألفت كتاباً عن حياتها وشعرها تحت عنوان: «Edith Sitwell: A poet alphabet».

- الملامح العامة لشعرها:

ابتعدت إديث سيتويل عن ميدان الشعر الفيكتوري، إلى استكشاف الروح الإنسانية الشاملة عَبْرَ التصوير الشعري من خلال الدين والروحانية والأخلاق والخيال الطبيعي، لذا أتى شعرها مليئاً بالحيوية والروح الأخلاقية.

كما تأثرت سيتويل بالشاعر البريطاني الكسندر بوب، وبالشاعرين الفرنسيين شارل بودلير وآرثر رامبو.

وقد أرَّخت للشعراء الكبار الإنكليز مثل الكسندر بوب، وويليام شكسبير، ولملوكها العظام ككتابتها عن الملكة إليزابيث الأولى والملكة فيكتوريا. ولها بالإضافة إلى ذلك كتب نقدية في الشعر الإنكليزي مثل: «مظاهر الشعر الحديث Aspects of Modern Poetry».وكذلك قصيدة دينية بعنوان: «لايزال المطر يهطل Still fall The Rain».

وعموماً يمكن القول أن إيديث سيتويل كانت من أعظم وجوه الشعر البريطاني بين ١٩٢٥ و١٩٥٥.

- مختارات من شعرها:

اخترنا لها فيما يلي قصيدة بعنوان «الأمس Yesterday»، ومقطعاً شعرياً حول خلود الروح بعد الموت، وهاهي ترجمتهما إلى العربية:

الأمس Yesterday

«بالرغم من أنني أصبحت عجوزاً ووحيدة اليوم
فإني لا أزال أقدس هذه العصافير النادرة
وغناءها العجيب،
إن قلبي يخفق عندئذ بحب دافق
سوف لن يذبل أو تبرد حراته
من تأثير الأفكار الفجّة التي تمرّ في عقلي.
تغني (العصافير) في أعشاشها الشتائية الحزينة
تغني أحلى وأفضل أغانيها
لهذا العالمُ الذي لم يولد بعد
ولم يحلم به أحد،
العالم الذي لا يوجد فيه ظلّ لأي عنف أو احتقار
هذه العصافير البرية تغنّي بلغة لا يعرفها أحد
مبشرة بعوالم جديدة ستبقى شابة إلى الأبد».

* * *

وهاهو مقطع يتحدث عن إمكانية الخلود بعد الموت:
«يقولون إن الموتى لا يمكن أن يحلموا أبداً
ولكني أسمع بالرغم من هذا، صراخ قلبي الجريح
وأسمع اسمه خلال الظلام
إنهم كاذبون!
من قال إن الميت يمكن له أن يزول!»

٢- شاعرات أمريكيات

أولاً - إميلي ديكنسون (١٨٣٠-١٨٨٦) :
Emily Dickinson (1830 – 1886)

- حياتها :

ولدت إيميلي ديكنسون في بلدة «آمْهِرْسْتْ» بولاية «ماسَاشُوسِتْشْ» الأمريكية يوم ١٠ كانون الأول ١٨٣٠، وتوفيت في هذه البلدة نفسها يوم ١٥ أيار ١٨٨٦، أي إنّها عاشت ستاً وخمسين سنة فقط.

وهي واحدة من ثلاثة أولاد، حيث كان لها شقيق أكبر منها اسمه «أوستن» وشقيقة أصغر منها اسمها «لافينيا»، وستلعب هذه الشقيقة دوراً كبيراً في ترتيب قصائد أختها بعد موتها، وفي دفع هذه القصائد إلى النشر.

كان والد إيميلي هو المحامي إدوارد ديكنسون، الذي كان يعمل محاسباً في كلية آمْهِرْسْتْ الجامعية، كما كان يسافر بين الحين والآخر إلى العاصمة واشنطن، حيث كان يشغل وظيفة «سكرتير غير متفرغ» للشؤون القانونية في مكتبة الكونجرس الأمريكي.

أما والدة الشاعرة ديكنسون فهي «إيميلي نوركروس»، التي اكتفت بإدارة منزل العائلة في بلدة آمهرست، وخاصة عند غياب زوجها.

وقضت إميلي طيلة حياتها في منزلها العائلي هذا، ماعدا رحلة مدرسية إلى مدينة بوسطن، ومرافقة والدها إلى مدينة واشنطن العاصمة أحياناً.

ويقول بعض مؤرخي حياتها إنها خلال زياراتها القليلة للعاصمة ما بين ١٨٥١ و١٨٥٥ تعرفت على كاهن بروتستانتي من بلدة فيلادلفيا، ونشأت بينهما علاقة عاطفية ووعدها بالزواج بعد إتمام إجراءات طلاقه من زوجته، ولكن هذا لم يحدث.

ويظهر أن هذا الكاهن – واسمه تشارلز وادوورث – استغل الميول الصوفية والدينية التي كانت تعصف بإيميلي وسيطر على قلبها قبل أن يتخلى عنها، فعادت هذه إلى بلدتها آمهرسْتْ تجرّ أذيال الخيبة، وتحمل في روحها صدمة عاطفية كبرى دفعتها لاعتزال المجتمع، والانصراف للقراءة والكتابة والنزهات الطويلة في فضاء الطبيعة.

وقد انقطعت عن استقبال الزوار وانخرطت في مرحلة من «الهلوسة الروحية»، واقتصرت على ارتداء الملابس البيضاء الطويلة فبدَتْ مثل الراهبات في ملابسها وتصرفاتها.

وزادت حالتها النفسية سوءاً بوفاة والدها فجأة عام ١٨٧٤، وشلل والدتها، فأصبح عليها أن تعتني بوالدتها المقعدة التي توفيت بدورها عام ١٨٨٢.

وأصبحت إيميلي ديكنسون طيلة البقية الباقية من حياتها مشغولة بهاجس الموت، ولا غرابة في ذلك حيث إن الموت كان قد اختطف ثلاثة وثلاثين شخصاً من أقاربها بين ١٨٥٢ و١٨٨٢.

ولم تطل الحياة بعدئذ بهذه البائسة، حيث أصيبت بنوع من الفشل الكلوي عام ١٨٨٤، الذي أدى إلى وفاتها بعد سنتين (أيار ١٨٨٦).

- ملامح شعرها بعامّة:

على الرغم من أن أيميلي ديكنسون لم تنشر خلال حياتها إلا سبع قصائد، فإنها كانت مكثرة في النظم والكتابة إلى حد الطوفان، حيث تقول الباحثة الأديبة «مريام وِبْسْتَرْ» عنها إنها نظمت ١٨٧٥ قصيدة، وهناك من يقول إنها تجاوزت الألفي قصيدة، وكانت فترة عطائها بشكل خاص في ستينيات القرن التاسع عشر حيث كانت تنظم ما معدّله ثلاثمائة قصيدة في العام الواحد.

وقد وجدت شقيقتها لافينيا أمامها مهمة شبه مستحيلة عندما حاولت تصنيف تلك الأكداس المبعثرة من الأوراق التي تركتها إميلي بعد موتها، وخاصة إذا علمنا أنها - أي الشاعرة - لم تكن تضع عنوانات مستقلة لقصائدها من جهة،، ولم تكن تميز بين (القصيدة) و(الخاطرة الأدبية) من جهة ثانية!

ومن حسن الحظ أن إيميلي ارتبطت في أواخر حياتها بعلاقات مراسلة مع الناشر المعروف «توماس ونتوورث هيجنسون Thomas Wintworth Higginson»، صاحب مجلة «آتلانتيك مونثلي»، الذي أرسلت إليه نصوص مايزيد عن مائة قصيدة من نظمها، بغاية تقويمها لا نشرها. ولكن هذا الناشر اتصل بعد وفاة الشاعرة بشقيقتها «لافيينا»، وطلب منها الموافقة على نشر مالديه من قصائد، وهكذا صدر ديوان إيميلي ديكنسون الأول عن هذا الناشر عام ١٨٩٠ (بعد وفاة صاحبته) ويضم ١١٦ قصيدة، وسرعان ما أتبعه بمجموعة ثانية تضم حوالي ١٠٠ قصيدة عام ١٨٩١. وأما المجموعة الثالثة فنشرتها أختها «لافينيا» سنة ١٨٩٤، وأتبعتها بمجموعة قصائد رابعة عام ١٨٩٦.

وعموماً يمكن استنتاج ثلاثة مواضيع thémes في قصائدها، وهذه المواضيع هي: الحب، الموت، القدر، ويمكن أن نضيف إليها موضوعاً رابعا ًوهو الطبيعة، أو بالأحرى التفاعل بين الإنسان والطبيعة.

ويمتاز شعر ديكنسون بأنه بسيط ولكنه مكثف جداً بالوقت نفسه، ويحمل بعداً إنسانياً في طيّاته، وهو قابل للقراءة أكثر من مرة بحيث يكتشف القارئ بعداً جديداً للقصيدة كل مرة!

ويصف الكاتب الأمريكي «جوردان ديفيس» في مقال له الطابع العام لشعرها بالكلمات التالية:

«Poems that tried to explain the unexplainable subjects like death, change, secrets and truth».

والمعنى بالعربية: «إنها تحاول في قصائدها توضيح مواضيع يستحيل شرحها مثل: الموت، التحول، الأسرار، والحقيقة».

وقد تفردت إيميلي ديكنسون في البحث والتعمق بمثل هذه الأمور إلى درجة جعلت بعض الباحثين ينظرون إلى عبقريتها هذه her genius على أنها نوع من الجنون madness!

هذا من حيث الموضوع، وأما من حيث الشكل فإن أغلب قصائدها قصيرة تتألف من (مقاطع stanzas) طول الواحد منها أربعة أبيات.

وقد تأثرت في بداية حياتها بأسلوب الشاعرين (إيمرسون) و(جوناثان إدواردز)، ويعتبرها النقاد – بالإضافة لوايتمان – أعظم شاعرين أمريكيين، لذا وتخليداً لاسميهما قامت إدارة البريد الأمريكية بطبع صورتيهما على طابعين بريديين أصبحا من أوسع الطوابع انتشاراً.

وإذا حاولنا أن نذكر بعض القصائد المتميزة لإيميلي ديكنسون فإننا نجد أن هذا أمراً مستحيلاً، لكثرة ما كتبت من جهة، ولأنها لم تكن تضع أية عناوين لقصائدها من جهة ثانية،

ولهذا فإنه غالباً ما نستخدم البيت الأول في كل قصيدة للدلالة على قصيدة ما بعينها كقولنا في تعداد بعض قصائدها:

- I heard a fly buzz when I died.
- Becaues I could not stay for a death.
- I felt a peneral in my funeral.
- I test a liquor never brewed.
- I can not live with you.

وها هما قصيدتان من نظم إميلي ديكنسون، قصيدة فيها بعض الغزل بشاب اسمه ريتشارد كوري، والثانية قصيدة إنسانية بعنوان «بلا جدوى»، وبعدهما مقطعان قصيران حول عبثية الموت:

«ريتشارد كوري – Richard cory»

«عندما كان ريتشارد كوري ينزل إلى المدينة
كنا نحن الناس العاديين ننظر إليه وقوفاً على الرصيف
كان رجلاً وسيماً (جنتلمان) من قمة رأسه إلى أخمص قدميه
كان نظيفاً منعماً، ورشيقاً إلى أقصى حد.

* * *

كان أنيق اللباس بشكل منتظم
وبادي الإنسانية عندما يتكلم
ولكنه كان يضطرب نبضه دوماً لَمّا يقول:

«صباح الخير»، ثم يتمايل عند المسير!

* * *

كان غنياً، غنياً أكثر من ملك
ومثقفاً في كل باب من أبواب الرقي،
وخلاصة الكلام أننا كنا نرى فيه كل فضيلة
تجعلنا نتمنى لو كنا مكانه»

* * *

«دونَ جدوى – In vain»

«إذا لم يكن في وسعي
أن أنقذ قلباً من الانفجار
لن أحيا دونَ جدوى.
وإذا لم يكن بوسعي
أن أحرر حياة إنسان من الألم
أو أخفف من آلامه على الأقل
أو أن أساعد حمامة كسيرة الجناح
على أن تعود إلى عشها ثانية
فإنني لن أحيا دونَ جدوى»

* * *

قصيدة حول عبثية الموت

«الموت، الموت عند منتصف الليل

أليس هناك من إنسان يجلب لي مصباحاً
لكي أرى في أي طريق يكون الذهاب
ضمن هذا العالم الجليدي المترامي الأطراف؟».

* * *

حول حتمية انفصال الحبيبين بالموت (إذا لم يكن أثناء الحياة) تقول إيميلي ديكنسون:

«لا بد من أن ينتظر أحد الحبيبين
لكي يُغْمض عيني الآخر إلى الأبد».

* * *

ثانياً – سارة تيسيديل (١٨٨٤ – ١٩٣٣):

Sara Teasdale (1884- 1933)

- حياتها:

ولدت سارة تيسديل في مدينة سانت لويس (ولاية ميسوري الأمريكية) يوم ٢٨ آب ١٨٨٤.

وفي عام ١٩١٠ انتقلت إلى مدينة شيكاغو، حيث انضمت إلى جماعة الشاعرة «هارييت مونرو» ١٩١٢.

وفي هذا العام نفسه تعرّفت على الشاعر «فاشيل ليندساي» وارتبطت معه بعلاقة حب رومانسية ألهمتها الكثير من القصائد

الجميلة، ولكنها فسخت خطبتها منه عام ١٩١٣، وتزوجت من رجل أعمال غني اسمه «إرنيست فيلسينجر» عام ١٩١٤، وانتقلت معه إلى مدينة نيويورك.

وبعد عشرة أعوام من الزواج اكتشفت أنها ليست سعيدة به، وأخذت تعبّر عن خيبة أملها في الزواج وفي أي ارتباط عاطفي آخر.

وبعد وفاة والدها – الذي كان يعارض طلاقها – تقدمت بطلب الطلاق إلى المحكمة الأمريكية المختصة وحصلت عليه عام ١٩٢٩.

والحقيقة أن سارة تيسديل كانت تعيش تمزقاً نفسياً حاداً نتيجة نوعين من المشاعر:

١. حاجتها إلى الحب والتواصل مع الآخرين.
٢. شعورها بالتفرد والتميّز عن الآخرين، وهذا ما كان يدفعها إلى العزلة والترفّع Stoicisme.

وزاد في إحباطها دخولها في «سن اليأس» عام ١٩٣٠ من جهة، وإقدام حبيبها السابق الشاعر «فاشيل ليندساي» على الانتحار في شهر كانون الأول عام ١٩٣١، وهذا ما أدى بها إلى نوع من الانهيار العصبي.

ومن يراجع آخر ديوان لها، وهو الذي يحمل عنوان «نصر عجيب Strange Victory» يجد أنه مليء بالتشاؤم الأسود

والدعوة إلى الموت كسبيل وحيد للخلاص، مما ينبئ عن نيتها بالانتحار، وقد أقدمت فعلاً على ذلك يوم ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٣، قبل بلوغها الخمسين من العمر.

لقد حاولت سارة تيسديل أن توفق طيلة عشرين عاماً بين زوج شرعي لا تحبه، وحبيب غير شرعي بالنسبة للمجتمع ولكنه شرعي بالنسبة لها، وعندما فشلت في ذلك نفضت يدها طوعاً من الحياة المرة التي أجبرتها الظروف الاجتماعية على عيشها!

- ملامح شِعرها العامّة:

بدأت سارة تيسيديل نظم الشعر في عام ١٩٠٣، أي قبل بلوغها سن العشرين، وقد تأثرت بشاعرتين:

- الأولى هي سافو، أولى شاعرات اليونان في العصر الكلاسيكي، وأعظمهن تأثيراً في الشعر العالمي.
- والثانية هي الشاعرة البريطانية من أصل إيطالي كريستينا روزيتي.

لذا كان من الطبيعي أن تنحو المنحى الغنائي في شعرها، وأن يشكل (الحب) و(الجمال) الموضوعين الرئيسين فيه.

انضمت تيسديل في أوائل شبابها إلى الجماعة الشعرية المعروفة تحت اسم «The Potters»، ونشرت بواكير إنتاجها

الشعري في مجلة هذه الجماعة التي تحمل عنوان « the Potters Wheel»، وفيها تعرفت على الصحفي وليام ماريون ريدي، الذي كان يرأس تحرير مجلة «The Mirror»، حيث نشر لها بعض قصائدها فيها عام ١٩١٣.

كان أول ديوان شعري نشرته هو: « Sonnets to Duse and Other Poems»، وكلمة (ديوز Duse) هنا تعني الممثلة الأمريكية في عهد السينما الصامتة «إليانور ديوز»، التي كانت تربطها بها علاقة صادقة عاطفية متينة، ونالت الشاعرة تيسديل (جائزة بوليتزر» الأدبية في الشعر عام ١٩١٨ عن ديوانها النفيس «أناشيد الحبّ Love Songs».

يمتاز شعر تيسديل بالبساطة وبالطابع الغنائي الذي يكاد يظهر في كل قصائدها. ومن حيث الشكل كتبت تيسديل مايزيد عن مائتي قصيدة، وأغلبها بطول ثمانية أبيات ضمن مقطعين رباعيين.

وأما من حيث الموضوع فقد تطرقت في شعرها إلى مواضيع ضرورية للعصر الذي عاشت فيه، مثل حرية المرأة، وحقها في الحب، وفي اختيار شريك حياتها على مرأى ومسمع من الجميع.

أهم النقاد الذين مدحوا شعرها هو الناقد الأدبي المعروف «بيرسي هيتشنسون» في العمود الذي كان يحرره ضمن جريدة

«النيويورك تايمز» تحت عنوان: « New York Times book review».

- **أثر حياتها الشخصية على شعرها:**

لا يمكن أن توجد شاعرة في العالم أثرت حياتها الشخصية على شعرها بالقدر الذي نجده في شعر سارة تيسديل:

- ففي فترة شبابها الأولى (١٩١٠ - ١٩٢٠) كانت تؤمن بالحب إيماناً أعمى، وهكذا نجدها تقول لحبيبها:

«ولكن سواء أكان الأمرُ لي شمالاً أو جنوباً
وبالرغم من الإغراءات التي تعرَّضتُ لها
في مختلف الأمكنة (فإن الأمر قد تغير)
منذ أن انحنيت لتمسك بيدي
ثم طبعت تلك القبلة على فمي»!

- وقد دفعتها جرأتها للمطالبة بحق المرأة في الحب، وأخذ حظّها منه بقدر ما يأخذ الرجل سواء أكانت زوجة شرعية أم خطيبة أم حبيبة عذراء، وفي هذا تقول:

«وطالما أنني فتاة عذراء
فإن حبيبي لن يعرف أبداً
أنني أودُّ تقبيله
بفم أكثر حمرة من الورود المتفتحة».

– ولكنها سرعان ما تكتشف أنها كامرأة هي الخاسرة في عملية التبادل العاطفي فتقول:

«بماذا أدينُ لك؟
أنتَ يا من أحببتني بعمقٍ ولمدّة طويلة؟
إنّك لم تُعْطِ روحي أبداً جناحاً تطير به
ولم تُقدم لقلبي أية أغنية!»

– وعندما تقارن بين القيمة التي تحتلها في قلب صاحبها، والقيمة التي يحتلها هو في قلبها، تجد أن المعادلة ليست في صالحها أبداً، وهكذا تقول:

«أدنى من قيمة السحاب للريح
وأدنى من قيمة الزبد للبحر
وأدنى من قيمة الوردة للعاصفة
أنا بالنسبة لك!

* * *

وأكبر من قيمة النجمة بالنسبة لليل
وأكبر من قيمة المطر للبحر
وأكبر من قيمة السماء للأرض
أنتَ بالنسبة لي».

– ومع مرور الزمن بدأت الشاعرة تكتشف أن الحب يفقد بريقه وحرارته شيئاً فشيئاً فتصوّر شعورها هذا بالقول:

«آمل أنه يود أن يحبني ولهذا قبّل فمي
ولكنّي كالطير الكسير الجناح
لا أستطيع الوصول إلى الجنوب!

* * *

وبالرغم من معرفتي أنه يحبني
فإن قلبي حزين هذه الليلة
لأن قبلته لي لم تعد دافئة الطعم
كما كنت أتصورها في أحلامي».

– وبعد أن تفقد الأمل في تحسن علاقاتها مع زوجها (فيلسنجَر)، ولا مع حبيبها (فاشيل ليندساي)، تعترف بسوء حظها في الحب والعلاقات العاطفية فتقول في قصيدة ذات عنوان معبّر هو:

«ليس الأمر معي كذلك But not for me»
«إن الأحباب يأتون الليلة إلى بقية النساء
ولكن الأمر معي ليس كذلك».

– وفي قصيدة أخرى بعنوان «الوحدة the solitary» تصف وحدتها في الحياة ولكن دون أي إقرار بالحاجة للآخرين، حيث تخاطبهم بنوع من التسامي واللامبالاة:

«إن قلبي قد أغنته التجربة بمرور السنين
لذا فإن حاجتي أصبحت أقل

مما كنت في فترة صباي
لكي أشاطر نفسي مع قادم جديد
أو أُجمِّل أفكاري بكلمات منمّقة ينطقها».

– وعندها بدأت تفكر بالموت كمنقذ وحيد لها من يأسها وفشلها، وخاصة بعد طلاقها من زوجها، وإقدام الحبيب السابق ليندساي على الانتحار، حيث تعتذر إليه ضمناً وتعده باللقاء في الحياة الأخرى فتقول:

«آه، بالنسبة لي أحببت من لم يحبوني أبداً
وأنا أدين لهم بفتح البوابة
التي قادتني نحو جدران السماء الوعرة».

– مختارات من قصائدها:

كتبت سارة تيسديل حوالي مائتي قصيدة، فيها الجيد وفيها الأقل جودة. وقد اخترنا لها القصائد الثلاث التالية مع ترجمتها إلى اللغة العربية:

النظرة The look

«ستيفن قبّلني في الربيع
وروبان قبلني في الخريف
ولكن كولن اكتفى بالنظر إليّ
ولم يقبلني أبداً!

* * *

قبلة ستيفان مرَّت كنوع من المزاح
وروبان خسر في اللعب
وأما نظرة كولن لي بعينيه
فلا زالت تلازمني طيلة الليل والنهار».

* * *

دعنا نَنسَ ذلك Let it be forgotten

«دعنا ننسى ذلك كما تُنسى الزهرة
كما تُنسى نار كانت تتوقد بلون ذهبي
دعنا ننسى ذلك وإلى الأبد
فالزمن صديق جيد يقودنا نحو المشيب!
إذا سألك أي إنسان ما
قل له أنك قد نسيتـــ(ني) منذ زمن طويل
نسيتني كما تُنسى الزهرة، كما تُنسى النار
كما يُنسى وقع الأقدام
على كوم من الثلج الذي نسيناه منذ زمن»!

* * *

حكمة wisdom

«كانت تلك ليلة من بواكير الربيع
كان السُبات الشتوي بالكاد قد انتهى
وحَوْلنا كانت الظلال والريح

تُصغي للكلمات التي لم نقلها أبداً.

* * *

بالرغم من أن نصف معدل سنوات عمرنا قد مرَّ
وبالرغم من أن الربيع أتى بشكل حاد
فإننا إذا كان علينا أن نعيد التجربة كلها
فإننا سنعيدها ثانية بالشكل نفسه.

* * *

إنه الربيع الذي لم يأتِ أبداً
ولكننا عشنا ما فيه الكفاية لكي نعلم
أنّ الأشياء التي لم نحصل عليها تبقى
بينما الأشياء التي نحصل عليها
هي التي تبقى إلى الأبد»

* * *

ثالثاً - إلينوروايلي (١٨٨٥ – ١٩٢٨) :

Elinor Wylie (1885 – 1929)

- حياتها الشخصية:

اسمها الكامل إلينور مورتون هوايت، وقد اكتسبت اسم وايلي بعد زواجها من محامٍ يحمل هذا الاسم.

حياتها الخاصة كانت غير منضبطة، ولكنها وصلت في عشرينيات القرن الماضي (١٩٢٠ – ١٩٢٨) إلى لقب الشاعرة الأكثر شهرة في أمريكا.

ولدت في بلدة سومرفيل (ولاية نيوجرسي) بتاريخ ٧ أيلول ١٨٨٥.

وكانت أكبر الأولاد في عائلة ميسورة ومعروفة في البلدة، وقد بدأت بقرض الشعر منذ عام ١٩٠٢.

وفي عام ١٩٠٥ التقت إلينور بشاب اسمه فيليب هيتشبورن وتزوجته ورُزقت منه بولد واحد.

وبعد خمس سنوات من الخلاف والمشاحنات هجرته مع ابنها لتعيش مع محام معروف اسمه هوراس وايلي، وهو الذي أعطاها اسمه.

وبما أنَّ هذا المحامي كان متزوجاً لم تتمكن إلينور من الاقتران رسمياً به، فرضيت بالإقامة معه عشيقةً، وهذا ما جعل أهلها وأقاربها وأصدقاءها يقاطعونها بشكل كامل، فاضطر العشيقان للهجرة من أمريكا إلى إنكلترا عام ١٩١١.

وفي عام ١٩١٢ نشرت إلينور أول مجموعة شعرية لها بعنوان «أرقام اعتباطية Incidental Numbers»، ورغم أن المستوى الشعري لهذه المجموعة كان «مقبولاً، فإن إلينور أنكرت فيما بعد تبعية هذه المجموعة لها، حيث نجدها تقول في رسالة منها إلى الناشرة هارييت مونرو عام ١٩١٩:

I have never published Anything, never tried to, until the last few weeks.

أي «لم أنشر أي شيء قبل الآن، ولم أحاول ذلك حتى ما قبل بضعة أسابيع!»

وبقي العاشقان توماس وإلينور وإيلي في إنكلترا حتى عام ١٩١٦، حيث عادا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن علمت هي بانتحار زوجها فيليب هيتشبورن من جهة، وموافقة زوجة توماس وايلي الرسمية على الطلاق من جهة ثانية، وهذا ما يسَّرَ لإلينور الزواج من عشيقها وايلي، وبدأت تحمل اسمه رسمياً منذ عام ١٩١٧!

وبعد استقرارها في أمريكا شجعها بعض أصدقائها الشعراء من أمثال جون دوس باسوس، جونبيل بيشوب، إدموند ويلسون.. على العودة إلى نظم الشعر فكتبت بعض القصائد وأرسلتها إلى مجلة «بويتري Poetry» سنة ١٩١٨، فقامت ناشرة هذه المجلة، الشاعرة هارييت مونرو، بنشر أربع من هذه القصائد وطالبتها بالمزيد.

وهنا تركت إلينور زوجها الثاني وسافرت إلى نيويورك عام ١٩٢١، حيث أصدرت مجموعتها الجديدة هناك تحت عنوان: «شبَاك لِصيد الريح Nets to catch the wind».

وعندما لاقت هذه المجموعة إعجاب النقاد وناشري الكتب، ومنهم الناشر وليام روز بنيت، سارعت لكتابة المزيد من نتاجها الأدبي شعراً ونثراً، وتولى الناشر روز بنيت الإشراف على نشر

إنتاجها الجديد، وكافأته هي على ذلك بأن قبلت الزواج منه بدلاً من زوجها المحامي توماس وايلي عام ١٩٢٣!

وفي عام ١٩٢٦ انفصلت إلينور عن زوجها بنيت، ولكنهما بقيا يتزاوران كصديقين من جهة، وكشاعرة وناشر أدبي من جهة ثانية.

ولم يمنعها هذا من الارتباط العاطفي برجل جديد اسمه هنري ده كليفورد ووُدْ هاوْسْ، الذي كان زوجاً لإحدى صديقاتها المقربات، وقد دفعها عشقها له إلى نظم بعض السوناتات التي ضمنتها ديوانها الأخير: «ملائكة ومخلوقات أرضية Angels and earthly creatures».

وفي الفترة الكائنة بين ١٩٢٣ و ١٩٢٨ نشرت إلينور وايلي ثلاثة دواوين جديدة وأربع مجموعات قصصية لقيت كلها إعجاب النقاد الأدبيين والناشرين، وتكللت بجملة من الجوائز وشهادات التميّز.

وكان من المنتظر أن تتابع إلينور وايلي تقدمها إلى ذروة العرش الشعري والأدبي لولا أن انتهت حياتها بشكل فجائي: فخلال زيارة منها لزوجها السابق وليام روز بينيت (الذي كان لا يزال زوجاً لها على الورق)، أصيبت بهبوط قلبي مفاجئ سببّ موتها خلال عدة دقائق، وهي لم تتجاوز الثالثة والأربعين من عمرها بعد.

- الملامح العامة لشعرها:

يتميز شعر إلينور وايلي بالصور الشعرية الحية وبنوع من الحساسية المترفعة في شؤون الحب والتعامل مع القدر، إلى الحد الذي جعل الناقد الأدبي المعروف «لويس أنترماير» يقول عنها: «هناك في شعرها نوع من الانفعال الذي تجمّد في منبعه «A passion frozen at its source».

وقد تأثرت بشكل أكيد بالشاعرين شيلي الذي ألفت كتاباً عنه ودون Donne.

وقد حاولت وايلي أن ترسم في شعرها الاختلافات الكامنة في النفوس البشرية إلى الحد الذي يمنع أفراد الجنس البشري من التعامل الصادق بين بعضهم بعضاً، وبالتالي فإن الحياة تمنح للإنسان دوماً أقل مما يجب.

وتنتقد إلينور وايلي وضعية المرأة في أمريكا خلال ذلك العصر (الربع الأول من القرن العشرين) بالقول:

«لقد ولدت إنسانة وحيدة
لأنني كامرأة كان وضعي مقلقاً
وعشتُ دوماً أنحتُ في الصخر
لكي أحصل على لقمة عيشي».

إلى أن تقول في نهاية هذه القصيدة:

«أنا امرأة دونَ فائدة في أرض قاحلة
ولكن من يتعرض لي بالسوء سوف أخرقُ يده».

وعن مستقبل العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة تقول متأثرة بتجاربها غير الناجحة في هذا الميدان:

«إنَّ نتائج هذه الأخطاء
سوف يتولد عنها حقيقة أساسية
وسوف يمضي المحبون زوجاً زوجاً
ويتجدّد فيهم الإخلاص والاستقامة
ويرفض كل من الطرفين الفشل»!

* * *

ولكنها لم تتصالح نهائياً مع «الحب» بعد هذه القصيدة، لذا نجدها تودع حبيبها الأخير بالقول:

«وداعاً أيتها الجنة الجميلة
فأنا لست آسفة جداً عليك
لقد جعلتُ منكَ ملكاً خاصاً بي
في أحد الأيام
وها أنت قد ذهبت الآن!
أنا لست أكثر حكمة منك
ولكن أوراق شجر الصفصاف
أصبحت تبدو لي لماعة بلون النبيذ»

- **أحلى قصائدها:**

العشاء الأخير	1) Last supper
السوناتا الخامسة	2) Sonnet V
أثمار بريّة	3) Wild peaches
الخولي البريء (الساذج)	4) Innocent landscaper
شخص واحد فقط	5) One person

وقد اخترنا نصيّن من هذه القصائد لترجمتهما إلى العربية وهما النص رقم (٢) والنص رقم (٥):

السوناتا الخامسة – Sonnet V

«إنَّ القدر البسيط من الجمال الذي كان من نصيبي
والشفتان الطازجتان اللتان لوَّنَهُما مولاي
والشعر الناعم، والعينان اللتان تحسان بالنار
كلُّ هذه المزايا لم تجعلني أشعر بالكبرياء أبداً
لأنني عندما انتقلت من مكاني كنت بصحبة غيمة
وعشتُ غير مبالية بالرغبات التي تستعر في دمي
بتأثير الحب المؤقت الذي كان يحاول إغرائي بدون جدوى
لأن جسدي لم يكن أكثر من شطر امرأة مطرزة حديثاً!

* * *

والآن بعد أن شببت ساخطة على القدر
الذي جعلني غير أهل لمنافسة النساء الأخريات

في عالم الشرف والجمال حسب رأيكَ
فإن تكويننا هو أبعد ما يكون عن جمعنا حتى في أبعد سماء
ولكني سأتبعك بالرغم من أن الأوان قد فات
لكي تضع بصمتك (ختمك) على قلبي».

مقتطفات من السوناتا الثامنة عشرة وهي بعنوان: شخص واحد – One person :

«دعنا نكف عن الكلام حول الملائكة السديميين
وعن أنصاف شكل القمر كما يبدو لنا
وعن ماهية الأيام وطول السنة الأورانية
وما يمكن أن تقدمه هذه لنا عندما نكون أنتَ وأنا أباً وأماً،
دعنا ننسى الأعياد والمهرجانات
وما وراء الطبيعة وكلَّ مخاوفنا.
دعنا نتحد ونختم على سمعنا وأبصارنا
كما تعزل الأنهار الصغيرة نفسها عن أمواج الصقيع!

* * *

دعنا نتسلل إلى أصغر غرفة لدينا
غرفة يشتهيها أي منفي مطارد
لنفسه ولحبيبته عندما ينتابه التعب.
دعنا ننم متناسين أي يوم للحساب
يصعب فهمه في ملكات عقولنا.

ودعنا ننسَ كيف نحزن وكيف نبكي
هيا نتبادل المصافحات واللمسات
على مرأى من أوراق الشجر والنباتات».

- **أهم مجموعاتها الشعرية:**

أرقام اعتباطية 1) Incidental Numbers (1912)

شباك لصيد الريح 2) Nets to catch the Wind (1921)

الدرع الأسود 3) Black armour (1923)

روح مبتذلة 4) Trivial breath (1928)

ملائكةومخلوقات أرضية 5) Angels and erthly creatures (1928)

- **منشورات ما بعد الوفاة:**

مجموعة قصائد إلينور وايلي 1) Collected poems of Elinor wylie (1932)

القصائد الأخيرة لإلينور وايلي 2) Last poems of Elinor wylie (1943)

- **دراسات نثرية:**

كتابات نثرية لإلينور وايلي 1) Collected prose of Elinor wylie (1932)

جينفر لورن 2) Jennifer Lorn (1923)

زجاج البندقية 3) the venetian glass (1925).

ولها دراسة عن شاعرها المفضل بيرسي شيلي تحت عنوان «الملاك اليتيم The Orphan Angel» أصدرتها عام ١٩٢٦.

* * *

رابعاً – هيلدا دولتيل (هـ . د) (١٨٨٦-١٩٦١):

Hilda Doolittle (H.D) (1886 – 1961)

- حياتها:

اسمها الكامل هيلدا دوليتل، وكانت في بداية حياتها الأدبية تكتب تحت اسم مستعار هو «جودي هيلفورث»، ثم أصبحت توقع كتابتها باستخدام الحرفين الأولين من اسمها وكنيتها أي (هــ.د – H.D).

ولدت هــ.د يوم ١٠ أيلول ١٨٨٦ في بيتهيلم (ولاية بنسلفانيا) ضمن عائلة مثقفة ميسورة الحال.

وفي عام ١٩٠٤ التحقت بكلية «برين ماور Bry maur» الجامعية لمدة سنتين تعرّفت خلالهما بمجموعة من الوجوه الثقافية المعروفة في أمريكا ذلك الوقت: ماريان مور، ويليام كارلوس ويليامز، إزرا باوند.. وفي عام ١٩٠٧ تمت خطبتها إلى هذا الأخير، واعترفت له بأنها كانت تحبه منذ أن كانت في الخامسة عشرة من عمرها!

وبالرغم من أنهما لم يتزوجا رسمياً فقد سافرت معه إلى لندن عام ١٩٠٨ وأقاما معاً هناك.

وقد شاركت هـــد في الحركة الثقافية البريطانية، وصادقت هناك مجموعة من الأدباء البريطانيين مثل د.هـــ لورانس، ماي سينكلير، ب. ييتس، إديث سيتويل، وشقيقها السير أوزبرت سيتويل، وريتشارد آلدنجتون الذي تزوجت منه عام ١٩١٣.

وفي العام نفسه توسط إزرا باوند لدى المشرفين على مجلة «بويتري Poetry» الأمريكية لكي تنشر بعض قصائد هـــد، وقد نشرت لها هذه بالفعل ثلاثاً من قصائدها وهي:

في الطريق	1) Hermes of the way
برياب	2) priapus
قصيدة قصيرة	3) Epigram

وفي هذه القصائد الثلاث يظهر اعتناق هـــد للنظرية التصويرية Imagism في الشعر، مع بعض تأثيرات جانبية من نظرية «الهايكو Haiku» اليابانية.

وخلال سنوات الحرب العالمية الأولى نابت هـــد عن زوجها ريتشارد آلدنجتون في رئاسة تحرير مجلة «Egoist»، التي كانت منبر الحركة التصويرية في الشعر، وفي عام ١٩١٥، عندما نشر إزرا باوند كتابه عن الشعراء التصويريين

An anthology of imagists كان للشاعرة دوليتل (هـــ.د) مكان بارز فيه.

ثم انفصلت هـــ.د عن زوجها آلدنجتون عام ١٩١٨، وعاشت مع الناشرة آني وينفريد إيللرمان، التي كانت تكتب أيضاً تحت اسم مستعار هو (Bryher)، وقد سافرت الصديقتان عام ١٩١٩ إلى إيطاليا واليونان ومصر قبل أن تستقرا في سويسرا.

وفي عام ١٩٣٣ – ١٩٣٤ راسلت هـــ.د عالم النفس سيجموند فرويد ثم قابلته وتبنت إلى حد ما نظريته في التحليل النفسي.

وقد أوضح لها فرويد كثيراً من العقد النفسية التي كانت تعاني منها، وخاصة (تقلبها العاطفي) و(الجنس المزدوج Bissexualité)، وردّت هي على جميل فرويد هذا بأن كتبت عنه بعد موته كتاباً كاملاً هو: «تحية لفرويد Trbute to Freud».

واهتمت هـــ.د بعد ذلك بالصوفية والأديان والوجوه النسائية القيادية Matriarcal figures عبر التاريخ، إلى أن توفيت في الخامسة والستين من عمرها يوم ١٧ أيلول ١٩٦١.

– الملامح العامة لشعرها:

تبنت هيلدا دوليتل النظرية التصويرية imagism في الشعر، وهي تعتمد على استخدام الكلمة بمعناها الفعلي لا المجازي، والصورة المحسوسة والكلام الشائع بين الناس، وعنصر التكثيف.

وقد كسرت هــ.د في قصائدها النسق الرباعي للشعر المُقفى، وأخذت في غالب الأحيان نظام الشطرين المتتابعين بدون أية تقفية أحياناً.

ويظهر إبداعها الشعري بشكل خاص في «الثلاثية Triology» التي نظمتها خلال الحرب العالمية الثانية بين (١٩٤٤ – ١٩٤٦)، وقد رفع بعض النقاد الأدبيين هذا العمل إلى مرتبة «الرباعيات Quartets» التي نظمها ت.س. إليوت، وديوان «Pisan Cantos» لإزرا باوند!

وهيلدا دولتيل هي أول امرأة تلقت عن شعرها شهادة الاستحقاق الأدبي. وهي إحدى الشاعرات اللواتي لا زلن مقروءات حتى الآن في جيل الشباب باللغة الإنجليزية.

– أحلى قصائدها:

الحديقة	1) Garden
البستان	2) Orchard
في الطريق	3) Hermes of the way
قصيدة قصيرة	4) Epigram
هلاك	5) Lethe
أنشودة الناي	6) Flute song
هيلين	7) Helen

وها هو مقطع من قصيدتها (هلاك Lethe) مترجماً إلى اللغة العربية:

«لا يمكن للستائر القرمزية ولا للأقمشة الرقيقة
أن تسترك عني
ولا إذا التحفت بخشب أشجار الأرز فوقك،
ولا يمكن لعطور أشجار الغابات المزهرة أن تخفيك
ولا يمكن للطيور الصدّاحة أن توقظك من غفلتك.

* * *

لا يمكن لأي كلمة أو لمسة أو نظرة حب
تتوق لها طوال الليل، أن تنالها
لأنك، لهذا السبب، تحتاج
إلى تيّار من موج البحر العارم
لكي يغطيّك (يغسل خطاياك)
دون سؤال أو قبلة».

* * *

- **أهم دواوينها:**

حديقة البحر	1) Sea garden (1916)
تنويه وإحسان	2) Tribute and cirea (1917)
غشاء البكارة	3) Hymen (1921)
هليو دورا وقصائد أخرى	4) Heliodora and other poems (1924)
ديوان قصائد هــ.د	5) Collected poems of H.D (1929)
هــ.د	6) H.D (1926)

ورود حمراء من البرونز 7) Red rose of bronze (1929)

الثلاثية 8) The triology

لن تسقط الأسوار 9) The walls do not fall (1944)

تحية للملائكة 10) Tribute to the Angels (1945)

إزهار العصا 11)The flowring of the rod (1949)

دعوة للحياة 12) Bid to live (1960).

وهو كتاب نثري يجمع بين المقابلات الشخصية (مع فرويد مثلاً)، والمذكرات الشخصية الخاصة.

* * *

خامساً - إدناسان فنسان ميلاي (١٨٩٢-١٩٥٠)

Edna St Vincent Millay (1892 – 1950)

- حياتها:

شاعرة أمريكية من أبرز شاعرات القرن العشرين. ولدت ضمن عائلة مثقفة في مدينة روكلاند بولاية (مين) الأمريكية يوم ٢٢ شباط ١٨٩٢، وانتقلت في أيام طفولتها إلى مدينة (كامدن) الساحلية حيث عشقت البحر. وعندما بلغت الثامنة من عمرها انفصل والداها بالطلاق، وعاشت إدنا مع شقيقتيها في كنف أمهما المطلقة. ويظهر أن صدمة انفصال والديها أثرت عليها

عاطفياً وأدبياً حيث نجدها تبدأ بنظم الشعر منذ سن العاشرة من عمرها، ونشرت قصائدها البدائية في مجلة للأطفال تحمل اسم «سانت نيكولاس».

ثم كتبت في فترة المراهقة بعض القصائد والقصص القصيرة تحت اسم مستعار هو «نانسي بويد».

وعادت إلى استخدام اسمها الحقيقي الكامل عندما نشرت ديوانها الشعري الأول الذي حمل عنوان «انبعاث Renascence» عام ١٩١٢، وهي في العشرين من عمرها.

وبعد ذلك دخلت الشاعرة الشابة كلية «فاسار Vassar» الجامعية عام ١٩١٧، حيث تخصصت في دراسة الآداب والمسرح، وإثر تخرجها منها سافرت إلى نيويورك، واستقرت في ضاحية غرينتيش، حي الأدباء والفنانين المجاور لمدينة نيويورك، حيث عملت مؤلفة وناقدة وممثلة مسرحية في هذه الفترة من حياتها.

وفي عام ١٩٢١ تركت غرينيتش في رحلة إلى أوروبا، حيث زارت فرنسا وعدة بلدان أخرى، ولكنها اضطرت للإسراع في عودتها إلى الولايات المتحدة، حين علمت بأن صديقها الحميم «آرثر فيك» قد تزوج من إحدى صديقاتها.

وقد عوضها عن هذه الصدمة العاطفية فوزها بجائزة بوليتزر الأدبية عن ديوانها الجديد «شهر نيسان الآخر Second April» عام ١٩٢٢.

ولعله من قبيل التعويض العاطفي أيضاً أنها تعرّفت في العام التالي (١٩٢٣) على ثريّ أمريكي من أصل فرنسي اسمه «أوجين بواسوفان» فتزوجته مع أنه يكبرها بحوالي ثلاثين عاماً! وقد اتفق الزوجان ودياً على أن يكون لكل منهما حياته العاطفية الخاصة، وذلك لأن إدنا كانت تنادي بحق الحب للرجل والمرأة معاً، ضمن إطار مؤسسة الزواج أو حتى خارجاً عنها، ولهذا لم يمنعها زواجها، أو زوجها، من أن ترتبط بعدة علاقات عاطفية حميمة، وكان أهم هذه العلاقات وقوعها في غرام شاعر شاب اسمه «جورج ديلون».

ويقال إنها قد تعذبت كثيراً في حياتها العاطفية بين زوج أكبر منها بثلاثين سنة، وحبيب أصغر منها بنصف هذه المدة! وقد عبّرت عن لوعتها وولوعها في ديوانها الذي أصدرته عام ١٩٣١ تحت عنوان «لقاء مأساوي Fatal Interview»، ويضم اثنتين وخمسين قصيدة، وهي تحكي قصة حب بين رجل وامرأة منذ بدء اضطرام العاطفة بينهما، حتى لحظة الانكسار والفراق.

والغريب في الأمر أن هذين الشاعرين العاشقين قد بقيا صديقين بعد انطفاء جذوة الحب بينهما، وقد اشتركا في ترجمة ديوان الشاعر الفرنسي المعروف شارل بودلير «أزاهير الشر Les Fleurs Du Mal» من الفرنسية إلى الإنجليزية تحت عنوان «Flowers of Evil».

وكانت فترة العشرينيات، والنصف الأول من ثلاثينيات القرن الماضي، ذروة الشهرة بالنسبة للشاعرة إدنا سان فنساي ميلاي،

ولكن شهرتها عرفت بعض التراجع بعدئذ، وخاصة عندما بدأت تهتم بالسياسة، وأخذت تسخّر شعرها في سبيل الدفاع عن قضايا سياسية واجتماعية ضدّ توجّهات السلطة وأغلبية قطاعات الرأي العام الأمريكي في تلك الفترة، وذلك كما حصل عندما دافعت عن قضية «ساكووفنيزيتي» ضمن مقال لها بعنوان لافت، وهو: «رفض إقرار العدالة في ولاية ماساشوستس»!

وقد نُشر هذا المقال في جريدة «نيويورك تايمز»، وهذا ما أدى إلى توقيفها في سجن مدينة بوسطن عدة أيام.

وبعد خروجها من السجن كرّست نفسها للوقوف في وجه الدعوة إلى الحرب (التي كانت نُذرها قد بدأت تظهر في أوروبا)، وكذلك لكتابة مذكراتها الشخصية. وأنهت الشاعرة حياتها الأدبية بكتابة ديوان «الحصاد عندي Mine the Harvest»، الذي يحمل بعض ذكرياتها الشخصية أيضاً.

وفي عام ١٩٤٩ توفي زوجها «أوجين بواسوفان»، ولم تلبث هي أن لحقت به يوم ١٩ تشرين الأول ١٩٥٠، وهي في الثامنة والخمسين من عمرها فقط، ويقال إنها توفيت نتيجة لسقوطها عن دَرَج منزلها بعد أن أصيبت بمرض هشاشة العظام.

وقد أصبح منزلها الزوجي في مزرعة أوسترليتز (بولاية نيويورك) متحفاً لها ولمؤلفاتها بعد موتها، يزوره عُشّاق أدبها وشعرها على الدوام، فيعيشون جزءاً من حياتها وبعض ذكرياتها، وقد تسنّى لكاتب هذه السطور أن زاره في شهر آب ٢٠٠٤.

- **شعرها:**

إن شعر إدنا سان فنسان ميلاي هو شعر رومانسي بامتياز، مليء بالعاطفة، ويضجُّ بالصور الشعرية والاستعارات الناعمة المبتكرة.

وهو في أغلبه يتحدث عن الحب، وعن العلاقة بين الرجل والمرأة، في إطار مؤسسة الزواج أو خارج إطار هذه المؤسسة، إذ إن الحب في رأي إدنا سان فنسان هو الخيار الوحيد الذي يُنجي الإنسان من التفكير بالموت، وهي تقول في ذلك: «بدون الحب لا يعود هناك من صديق للإنسان إلا الموت»، « Without Love, one is making friends with Death»

ولكن هذا لا يمنعنا من القول إنها طرقت إلى جانب الحب بعض المواضيع الإنسانية الأخرى، كما هو الحال في قصائد مجموعتها الموسومة: «Sonnets from an ungrafted tree»، التي تحكي، ضمن ما تحكي، قصة امرأة انفصلت عن زوجها بالطلاق، ولم يعد يربطها به أي نازع من نوازع الحب، ومع هذا فإنها تعود إليه طوعاً للاعتناء به، بعد أن سمعت أنه مريض بداء خطير يجعله محكوماً عليه بالموت بعد عدة أسابيع!

هذا من حيث الموضوع، وأما من حيث الشكل فإنّ إدنا سان فنسان كانت مؤمنة بالشعر التقليدي الغنائي (Lyric Poetry)، الذي يتألف من «مقاطع Stanzas» يتكون كل منها من «أربعة أبيات Quartets»، والتقفية تكون إما اثنين اثنين، أو بقافية متصالبة. هذا في حال القصائد العادية، وأما في حالة

«السوناتات Sonnets» فغالباً ما تتكون الواحدة من أربعة عشر بيتاً، ويقال للثمانية الأولى فيها «أوكتاف Octave»، وللستة الأخيرة «سيكستيت Sexstet». كما أشرنا في مكان سابق.

ورغبة منا في ابراز هذه الناحية بشكل أفضل سنقدم فيما يلي الترجمة الكاملة لقصيدة وسوناتا من نظم إدنا سان فنسان، القصيدة بعنوان «رماد الحياة Ashes of Life»، أما السوناتا فهي التي تحمل الرقم ٤٢، والتي رقمتها بالطريقة اللاتينية (XLII) للتدليل على كلاسيكيتها.

قصيدة رماد الحياة

إطار هذه القصيدة:

قصيدة «رماد الحياة» من أوائل القصائد التي نظمتها إدنا سان فنسان ميلاي وضمنتها ديوانها «Renascence» (١٩١٢)، وهي قصيدة رباعية متصالبة، أي أنّ البيت الثالث يأخذ قافية البيت الأول، والرابع يأخذ قافية البيت الثاني وهكذا..

هذا من حيث الشكل، وأما من حيث المضمون فإن القصيدة تتحدث عن «الحب Love» و«الحياة Life» حيث ترى الشاعرة أن الحياة هي الباقية على الدوام، وأما الحب فهو زائل حتماً ولا يخلف إلا «رماداً Ashes» أو بقايا تذروها الرياح.

وهاهي ترجمة هذه القصيدة إلى العربية:

«لقد مضى الحبُّ وتركني وحيدة
والأيام كلها تبدو لي متشابهة،
لابد لي أن آكل، ويجب أن أنام

وأودُّ لو كان الحبيب هنا هذه الليلة،
ولكن آه، عليَّ أن أستلقي على الأرض
وأبقى مستيقظة أستمع إلى دقَّات الساعة!
أودّ لو طلع النهار من جديد،
أودّ لو اقترب وقت الشفق.
لقد مضى الحب وتركني، ولا أعرف ما العمل!
إنَّ هذا العمل أو ذاك
وما تريدُ أنت فعله، كل ذلك يبدو سواء
بالنسبة لي،
كما إنَّ كل الأعمال التي أبدأها
أتركها قبل أن أنجزها فعلاً
وهناك فائدة ضحلة لأي شيء حسبما أرى!

* * *

مضى الحب وتركني وحيدة
والجيران يطرقون على بابي لاستعارة بعض الأشياء
والحياة تمضي في طريقها ببطء
وكأنها دبيب فأر
وغداً، ومن بعده غداً، ثم غداً، وما بعد غد
سيبقى هذا الشارع الصغير
وهذا البيت الصغير لا غير».

* * *

السوناتا الثانية والأربعون

الإطار العام لهذه القصيدة:

كانت إدنا سان فنسان ميلاي من نوع النساء اللواتي لا يستطعن العيش دون حب. وفي أواخر أيام حياتها، وبعد اجتيازها تلك المرحلة الخطيرة بالنسبة للمرأة، والمسماة «سن اليأس»، بدأ عشاقها القدامى ينصرفون عنها الواحد بعد الآخر، ووصلت إلى قناعة معينة، وهي أن الزمن عامل من عوامل القضاء على الحب.

وتزداد الذكريات حدة وإيلاماً لدى رؤية بعض الوجوه أو الأمكنة أو في بعض الظروف، كما هو حال شاعرتنا هنا عندما كانت تسمع صوت المطر الوابل الذي كان ينقر على نافذتها طالباً الدخول وكأنه أحد عشاقها القدامى! ثم تعود إلى واقعها المؤلم كامرأة وحيدة مثل شجرة سقطت أغصانها واحداً بعد الآخر، ولم يعد يقيها شيء من البرد، برد الوحدة الموحشة الذي لا يعادله أي برد آخر، والذي يزداد تأثيره كلما تقدمت المرأة بالعمر.

ترجمة السوناتا إلى العربية:

«تُرى أية شفاه عطشى
أطبقت على شفتيّ، في أحد سوالف الأيام،
وكيف تم هذا ومتى؟
وأية سواعد قوية
توسدها رأسي منذ المساء وحتى الصباح؟
لقد نسيتُ الآن،

ولكن المطر زاخر بالأشباح هذه الليلة
وهو ينقر على زجاج النافذة ويئن
وكأنه ينتظر مني الجواب.

* * *

إن أعماق قلبي مفعمة بالأسى
على أولئك الفتيان الذين نسيتهم
والذين لم يعودوا يزورون مخدعي اليوم
في منتصف الليالي وهم يئنون حباً!
وها أنا الآن وحيدة
كما الشجرة المنفردة التي تقف في وجه برد الشتاء
بعد أن انصرفت عنها الطيور الأليفة واحداً بعد الآخر،
إنها تعلم اليوم بأن هذه الطيور
قد هجرت أغصانها دون رجعة
وتركتها وحيدة موحشة.

* * *

ليس بوسعي اليوم
أن أتذكر كل أولئك الأحباب
الذين دخلوا في حياتي
ذات يوم، ثم خرجوا منها،
ولكني أعلم أن الصيف الذي كان يضجّ بالغناء في أعماقي
ردحاً من الزمن، قد ولّى وراح
وتوقف عن الغناء إلى الأبد».

ويظهر من هذه السوناتا، والقصيدة التي أوردناها قبلها، أن إدنا سان فنسان لم تكن سعيدة في حياتها، ولكنها كانت تتألم بكبرياء وترفع وهي تقول ذلك:

«My candle burns at both ends
It will not last the night
But oh my foes, and oh my friends
It gives a lovely light».

والمعنى بالعربية:

«إن شمعتي (شمعة حياتي) تحترق من طرفيها معاً
ولن يدوم اشتعالها حتى نهاية الليل
ولكن آه يا أصدقائي، وآه يا أعدائي
لقد أعطت شمعتي ضوءاً جميلاً».

- **أجمل قصائدها:**

هي في رأينا القصائد التالية:

أجران الرُفاة	1) Morit urnes
رماد الحياة	2) Ashes of life
دنيا الله	3) Good's world
انبعاث	4) Renascense
الندم	5) The penitence
حفلة عيد	6) Feast
وقت الظهيرة على رابية	7) Afternoon on a hill
لا تشفق عليّ	8) Pity me not

9) Elegy مرثاة

10) The singing woman from the woods – edge المرأة المغنية عند حافة الغابة

11) Keen توق عارم

12) Love is not all milk nor drink. الحب ليس كله حليباً أو شراباً

13) The harp weaver الحائك

14) The buck in the snow. الوعل في الثلج

- أهم دواوينها:

كان أهم المجموعات الشعرية التي نشرتها إدنا سان فنسان هو ديوانها الأول الموسوم «انبعاث Renascence»، الذي نشرته في عام ١٩١٢، وهي في العشرين من عمرها في مجلة «ليريك يير Lyric year»، ثم نُشر ثانية من قبل دار نشر رسمية.

وبعدها توالت إصدارات سان فنسان على الشكل التالي:

1) A few figs from the thistle (1920) بعض أثمار شجر الشوك

2)Second April (1921) شهر نيسان آخر

3) The ballad of the harp weaver (1922). أنشودة الحائك

4) The harpweaver and other poems (1923). أنشودة الحائك وقصائد أخرى

الوعل في الثلج	5) The buck in snow and other poems (1925).
لقاء مأساوي	6) Fatal interview(1930).
خمر من هذه العناقيد	7) wine from these grapes.(1934)
حديث منتصف الليل	8) Conversation at midnight (1937).
ماذا تحمل أيها الصياد؟	9) Huntrman what carry (1937)?
أضمومة سوناتات	10) Collected sonnets (1941)
دعوة لربّات الشعر	11) Invitation to the muses (1941)
أضمومة أناشيد	12) Collected lyrics (1943).

- إصدارات ما بعد الوفاة:

الحصاد عندي	1) Mine the harvest (1954).
أضمومة قصائد	2) Collected poems (1956)
قصائد مختارة لإدنا سان فنسان	3) Edna ST Vincent selected poems (1991).
القصائد الأولى.	4) Early poems (1998)

مؤلفاتها المسرحية:

- المسرحية الشعرية:

عاهرتان وملك.	1) Two slatterns and a king (1921).

2) The lamp and the bell (1921). المصباح والجرس

3) Aria di capo (1921) آريا دي كابو

4) The princess marry the page (1927). الأميرة تزوجت من وصيفها

- الدواوين السياسية:

1) Epitaph for the raceman شاهدة لقبر بطل السباق

2) Make bright the arrows سِنُّوا الأسلحة

3) The murder of lydice جريمة قتل ليديس

- المذكرات والرسائل:

نشرت إدنا سان فنسان بعض ذكرياتها في كتاب نثري عنوانه: «Note book» عام ١٩٤٠.

كما نشر السيد أ. ر. ماكدونال رسائلها عام ١٩٥٢ (أي بعد وفاتها بسنتين) تحت عنوان: Letters of Edna ST Vincent Millay.

- أهم المراجع عنها:

هو حسب رأينا المتواضع الكتاب الذي ألفته الكاتبة نانسي ميلفورد Nancy Milford تحت عنوان:

Savage beauty: the life of Edna Saint Vincent Millay - Random House – New york, 1920.

* * *

سادساً – دوروثي باركر (١٨٩٣ – ١٩٦٧)

Dorothy parker (1893 – 1967)

- حياتها:

هي شاعرة وقاصة وكاتبة للأطفال. اسمها الحقيقي دوروثي روتشيلد ونظراً للأصول اليهودية الظاهرة في هذا الاسم فقد غيّرته إلى باركر.

اسم أبيها هنري روتشيلد (وهو تاجر ملابس من مدينة نيويورك)، واسم أمها إليزا مارستون.

ولدت دوروثي يوم ٢٢آب ١٨٩٣، وقد توفيت أمها بعد ولادتها بمدة قصيرة، فتزوج والدها من امرأة مسيحية أصرّت على وضع دوروثي في مدرسة داخلية تابعة لأحد الأديرة المسيحية، وهكذا عانت الفتاة منذ أول عمرها حالة تمزق في حياتها بين ديانتها الأصلية (اليهودية) والتربية المسيحية في الدير!

وبعد إنهاء مرحلة تعليمها الثانوي انتسبت دوروثي إلى إحدى الكليات الجامعية في مدينة موريس تاون، وتخرّجت منها بعد دراسة سنتين بين (١٩٠٩ – ١٩١١).

وفي عام ١٩١٥ تعاقدت كناقدة أدبية مع المجلة المعروفة (فوك Vogue)، ثم بعد سنتين من العمل فيها تعاقدت مع مجلة أخرى لا تقل عنها شهرة وهي (فانيتي فير Vanity Fair).

وفي العشرينيات من القرن الماضي أصبحت دوروثي باركر كاتبة معروفة في نيويورك وما حولها، مما أهّلها لأن تصبح عضواً في جماعة الطاولة المستديرة « Algonquin Round

Table»، وهذا ما أتاح لها الفرصة للتعرف على أدباء مشهورين من أمثال روبرت بنشلي، وجورج كوفمان، وفرانكلين بيرسي آدامس وغيرهم.

وفي تلك الفترة تزوجت دوروثي من سمسار مالي في مدينة نيويورك اسمه «يوند باركر» ولكن زواجهما لم يُكتب له الاستقرار أو الاستمرار!

وقد تعرفت دوروثي بعدئذ على أدباء أمريكيين مشهورين مثل إرنست هيمنجواي، وسكوت فيتزجرالد فأعطاها هذا دعماً معنوياً قوياً.

وفي نهاية العشرينيات مرّت دوروثي بأزمة نفسية شديدة دفعتها إلى معاقرة الشراب، وإلى خوض مغامرات عاطفية غير ناجحة قادتها أكثر من مرة إلى إجهاض ومحاولة انتحار، وخاصة بعد أن انفصلت عن زوجها «يوند باركر» بالطلاق رسمياً.

وبعد ذلك تزوجت دوروثي باركر الممثل «آلان كامبل»، الذي يصغرها بأحد عشر عاماً، وانتهت علاقتهما بالطلاق، ثم بالزواج مرة ثالثة والطلاق مرة أخرى. واضطرت لبيع شقتها والسكن في فندق «فولني Volney»، الذي فارقت فيه الحياة وحيدة ليلة ٧ حزيران ١٩٦٧.

- المواضيع الرئيسية في قصائدها:

سيطرت على قصائد دوروثي باركر المواضيع النسائية العامة في عصرها، وخاصة صعوبة التواصل بين الرجل

والمرأة، واستغلال الرجال للنساء لحاجتهن إليهم، والعنجهية الفارغة لأبناء المجتمع الراقي، وعلاقات الحب الفاشل من خلال التجارب العاطفية والزوجية المريرة التي عاشتها.

هذا من حيث الموضوع، وأما من حيث الشكل فقد كان شعرها في غالبتيه «غنائياً Lyric»، وقد تنوعت قوالب قصائدها بين «السوناتا Sonnets» و«البالالاد Ballads»، و«الأود Odes»، و«الأبيجرام Epigrams»، و«الإبيتاف Epitaphs».

- أحلى قصائدها:

البوهيمية	1) Bohemia
أغنية	2) A song
ملخص حياة	3) Resumé
تعليق	4) Comment
أن يكون الإنسان امرأة	5) On being a woman
مذكرة اجتماعية	6) Social
صيف هندي	7) The Indian Summer
طُرفــه	8) Anecdote
تريمودي	9) Tremoday
الحرم المقدّس	10) Sanctuary
الحب الجديد	11)The new love
صورة في الدخان	12) Picture in the smoke
السؤال الأخير	13) The last question
أغنية قصيرة جداً.	14)A very Short song

- تأثير حياتها الشخصية على شعرها:

عانت دورثي باركر من كثير من المشاكل النفسية والعاطفية في حياتها، وقد انعكست هذه المشاكل على شعرها حيث نجده زاخراً بالمقاطع التي تبحث في علاقة الرجل بالمرأة، وقلة بختها في هذا المجال.

ففي مجال تعدد علاقاتها العاطفية وفشلها في قابلية التكيف مع أحبابها تقول ضمن قصيدة «صورة في الدخان Picture in thw smoke»:

«كان الحبيب الأول كيِّساً ومتألقاً وظريفاً
والثاني كان كدفقة من الماء في كأس بيضاء صافية
والثالث كان لنفسه فقط، والرابع كان كما أنا
أما بعد ذلك فكان أحبابي خليطاً من كل هذا».

* * *

وتقول في قصيدتها «السؤال الأخير The last question»:

«حبيب جديد، أيُّها الحبيب الجديد، أين أنتَ
لكي تقودني في الحياة؟
على طول ممر ضيق مليء بالمنحنيات
كيف ستروينى، وكيف ستغذيني
بحبوب من التوت البري الأصفر والمر
وبنبيذ حاد الطعم وجديد التقطير».

* * *

وفي مجال متطلباتها لخوض أي تجربة عاطفية جديدة تحدد الشروط مسبقاً في قصيدتها «أغنية A song» فتقول:

«يجب أن تحبني وأن تكون مسروراً
على مستوى الروح والجسد
وإلا وجب عليك أن تفتش عن حب آخر
وأن تودعني إلى غير رجعة».

* * *

وتقول في قصيدتها «أن يكون الإنسان امرأة On being a woman» متهكمة على نفسها:

«لماذا عندما أكون في روما
أتشوق لأن أكون في الوطن
بينما عندما أكون في مسقط رأسي
تكون روحي متعلقة بإيطاليا؟
ولماذا أنت يا حبيبي ويا سيدي
عندما تكون إلى جانبي نملٌّ من بعضنا معاً
وعندما تقف وترحل عني
أصرخ طالبة أن تعود إليّ من جديد»

* * *

وتقول حول عدم تفاهمها مع زوجها الأول عندما تركها وذهب للاشتراك في الحرب العالمية الأولى:

«إذا كان من الواجب عليك أن تذهب إلى أقاصي الدنيا
أو أن تموت
أو أن تنطق باسم امرأة أخرى في بداية نومك
أو أن تراني على متن قطار ولا تشهق دهشة

فليس لي عندئذ إلا أن أمسك بنهديّ وأبكي»

* * *

وفي قصيدتها «صيف هندي The Indian Summer» تُعبّر عن روح عدائية متهكمة تجاه الرجل والحب معاً، وخاصة بعد أن تقدمت في العمر وأصبحت لها تجارب كثيرة في هذا المجال:

«في مرحلة الشباب كان من عادتي
أن أفعل ما بوسعي لكي أنال الإعجاب
فأتبادل الحديث مع أي شاب يعبر بقربي
لكي أحقق له نظرياته (في النساء)!
ولكن الآن بعد أن أصبحتُ أعرف ما أعرف
وأقوم بعمل مايروق لي فقط
أقول لك: إذا لم أكن أُعْجبك كثيراً
فاذهب إلى الجحيم أيها الحبيب».

* * *

وأخيراً وحول عدم منطقية الحب تقول:

«راف هو شاب ظريف وجنتلمان
وتوم رجل ذو فضائل
وجاك حطم قلبي وهرب مني
ولذلك أحبه أكثر من الباقين».

* * *

– **أهم دواوينها:**

كفى اغتصاباً — 1) Enough rape (1926)

2) Sunset gun (1928)	بندقية وقت الغروب
3) Death and Taxes (1931)	موت وضرائب
4) Not so deep as a well (1936)	ليس عميقاً بما فيه الكفاية كالبئر
5) The collected Poetry of Dorothy parker (?)	جملة قصائد دورثي باركر
6) Poems and story (1962)	قصائد وقصة
7) No much fun: the poems of Dorothy parker (1996).	قليل من المرح

أعمالها الأخرى:

- المجموعات القصصية:

ثلاث مجموعات:

1)A big Blonde	شقراء ضخمة الجثة
2) A Telephone call	نداء عبر الهاتف
3) After such pleasure (1933)	بعد كل هذه المباهج

- أعمالها السينمائية:

بالإضافة إلى ما تقــدم كتبت دورثي باركر ســيناريو فيلم «Astar is Born» في نسخته الأولى عام ١٩٣٣.

* * *

٣ - شاعرات فرنسيات

أولاً - لويز كوليه (١٨١٠ – ١٨٧٦)

Louise colet (1810 – 1876)

اسمها الكامل لويز ريفوال كوليه، ولدت في مدينة (إيكس آن بروفانس) سنة ١٨١٠، وتوفيت في باريس سنة ١٨٧٦. شاعرة وكاتبة ناضلت طويلاً في الدفاع عن المرأة ومكانتها في المجتمع.

ارتبطت بعلاقات عاطفية حميمة مع خمسة من كبار أدباء وشعراء فرنسا في القرن التاسع عشر وهم: فيكتور كوزمان، وفيللمان، وألفريد ده موسيه، وألفريد ده فيني، وغوستاف فلوبير، ولها مع هذا الأخير مراسلات عالية الجودة.

كتبت في النثر مؤلفاً بعنوان «هو Lui» يحكي قصة غرام ألفريد ده فيني مع الأديبة جورج صاند، وأما في الشعر فقد اشتهرت بديوانين:

– أزهار الجنوب Les fleurs du midi (١٨٣٦).

– القلوب المحطمة (Les Coeurs brisés) (١٨٤٣).

وبعد نشرها ديوانها الثاني هذا افتتحت صالوناً أدبياً باسمها بين ١٨٤٣ و ١٨٥٩. وقد كان يجتمع في صالونها الأدبي هذا أغلب رجال الفكر والشعر والأدب في باريس خلال منتصف القرن التاسع عشر، الذي كان من أغنى عصور الأدب والشعر والفن في فرنسا.

وكنموذج من شعرها نذكر لها هذه القصيدة بعنوان: «الآنسة La demoiselle»:

«في أيام الربيع ليس هناك ما هو أجمل
من فتاة تقفز
بأربعة أردان من القماش الشفاف!
جسدها ناعم وممشوق
يُخيل إليك وأنت تراها
أنك ترى جواهر من الزمرد والسِفير والتوباز!
هي تطير في الهواء
في الوقت الذي بدأ النهار بالزوال
وهي تسرق العطر من أية زهرة تمسُّها
النظرات المبهورة تتأملها بنشوة
فوق الأمواج اللازوردية المتكسرة!

* * *

أنا كما أنتِ
أيتها الزهرةَ التي لا تذبل أبداً
ولكن ليس لي – مع الأسف –
أجنحة خفيفة أطير بها
فوق هذا الكوكب القاتم

* * *

أيتها المناطق الكائنة

في غياهب الروح
التي لا يمكن لأحد أن يمر فيـها،
سأعبرها أنا
لكي أفتش في السموات
وفي تلك الأجواء
عن العالم الذي أحلم به
العالم الأزلي وغير المتناهي».

* * *

ثانياً - آنا دونُوايِّ (١٨٧٦ – ١٩٣٣)

Anna de Noailles (1876 – 1933)

نبيلة من حيث المولد، فهي ابنة الأمير الروماني «بيبسكو Bibesco»، وهذا ما أهلها لحمل لقب «كونتيس». كتبت عن الطبيعة، وعن المشاعر الأنثوية، وعن موقف الإنسان أمام الحياة والموت، وكانت تُسمي شعرها «قرباناً إلى الطبيعة offrande á la nature»، فقالت في ذلك شعراً:

«Je me suis appuyée a la beauté du monde et j´ ai tenu l´ odeur des saisons dans mes mains».

والمعنى بالعربية:

«اتكأت على جمال العالم
وأمسكت رائحة الفصول بيديَّ هاتين»

وكانت دونواي أعظم شاعرات فرنسا في القرن التاسع عشر دونَ منازع، وهذا ما جعلها تحلم بأن تدخل في عضوية الأكاديمية

الفرنسية، وعندما قوبل ترشيحها إلى «مجمع الخالدين» بالرفض اتجهت إلى «الأكاديمية البلجيكية الملكية» التي قبلتها عضواً فيها.

– نظمت دونواي بين ١٩٠١ و ١٩٢٧ خمسة دواوين تحمل العناوين التالية:

القلب المتعدد (١٩٠١)	1 – le coeur innombrable
ظلّ الأيام (١٩٠٢)	2 –l´ombre des jours
إِنْبهار (١٩٠٧)	3 – les Eblouissements
أَحياء وأموات (١٩١٣)	4 – les vivants et les morts
شرف المعاناة (١٩٢٧)	5 – l´honneur des ouffrir

مختارات من شعرها:

وها هي فيما يلي ثلاث قصائد من نظم ده نواي: اثنتان من ديوانها «القلب المتعدد»، والثالثة من ديوانها «انبهار».

١) سنجعل بيتنا أجمل إذا شئت Si tu veux, Nous ferons notre maison si Belle من ديوانها «القلب المتعدد»:

«يمكننا أن نجعل بيتنا جميلاً جداً إذا شئت،
سنسكن فيه خلال فصول الصيف والشتاء
سنشاهد حوله ماء الجليد عندما يذوب
والأشجار المصفرة عندما تعود للاخضرار.

* * *

وأيام الانسجام والفصول السعيدة
ستنقضي بعضها بعد بعض
على أطراف الدرب المضيء

كما همُ الأطفال الذين يتجمعون في زمر مرحة
يمسكون بأيدي بعضهم
ويتعانقون وهم يلعبون.

* * *

الشمس المرحة، وكذلك القمر المفكر
اللذان يدوران حول جذوع أشجار الحور الملساء
يعكسان فينا روحهما المتعبة أو المرحة
تحت أشعة منتصف النهار
وفي الأماسي الحميمة!
سنجعل قلبينا بسيطين وصادقين
بحيث تعود الأرواح الساحرة
كما في قصص الماضي
إلى السُكنى في أقفاص ساعات الحائط
لكي تعزف ألحاناً سرية ولطيفة.

* * *

وخلال أماسي الشتاء
لكي نحسّ بفضل الدفء
سنحاول التعرض لقليل من البرد،
أنوار عظيمة سترقص عندئذ في قلوبنا
على ضوء لهيب الحطب
الذي يبدو لي فرحاً».

٢) قصيدة «البصمة L´Empreinte»:

«سأستند بشكل جيد وبكل عزم على الحياة
سأضمها إلي بقسوة وشدة
بشكل أتمكن به
– قبل أن أُحرمَ من جمال النهار –
من أن أدفئ هذه الحياة بعناقي!
* * *
إن البحر الذي يغمر بوفرة سطح العالم
سيحتفظ في ذاكرته
بالمسرى التائه الذي تسلكه مياهه
وطعم آلامي المُر والمالح معاً
سيجري فوق هذه الأيام المتقلبة!
سأترك جزءاً مني في منعطفات الهضاب:
حرارة نظراتي التي راقبتها وهي تُزهر
والصرصار الجاثم فوق شوكة الغصن
سيردد صرخة صبوتي الحادة!
* * *
في الحقول الربيعية سينبت اخضرار جديد
والعشب الكثيف الذي يغطي حواف الحفر
سيشعر بالاضطراب ويهرب
كما لو له جناحان
من أفياء يدي
اللتين كثيراً ما تلمسّتاه.
* * *

إن الطبيعة التي كانت مملكتي ومجال فرحي
ستتنفس في الهواء رائحتي الدائمة
وعلى وقع الحزن الإنساني
أسلّم قلبي هذا
قلبي ذا الطراز الفريد».

* * *

٣) قصيدة «مفاجأة Surprise»:

«كنت أتأمل، وفجأة انكشفت الحديقة لي
ورمت حدقتي اللاهبة دفعة واحدة
بينما كنت أنظر إليها ببهجة عارمة
بكل ما تحويه من فرح وخفر ونداوة
وما يحويه الصيف من مشاعر حميمة!

* * *

كل ما فيها يؤثر بي، يروق لي
ويُغرقني بحالة من النشوة
كنت أتقدم ثم أتوقف:
يُخيل إلي أن الفرح الذي يكمن في هذه الشجيرة
سيقفز ليحط في قلبي!

* * *

إنني ممتلئة بالحب، بالاندفاع
وأتضوع برائحة طيبة

وقد مزج اللازورد خيوطه في جسدي
ويبدو فجأة أمام نظرتي المندهشة
أن ما أزهر ليس هو المرج
بل عيناي اللتان تنظران إليه
حتى أنني لو أردت إغماض عيني
لبقيت أرى فيهما الشمس والوردة».

* * *

ثالثاً - ماري نويل (١٨٨٣ – ١٩٦٧)

Marie Noel (1883 – 1967)

اسمها الحقيقي ماري روجيه Marie Rouget، وقد تبنت اسمها الجديد «نويل Noél» تيمناً بعيد الميلاد لأنها كانت متدينة وعاشت أغلب سني حياتها في ظلال كاتدارئية مدينة «أوكسير Auxerre». حاولت في شعرها أن توفق بين ثلاثة مواضيع حميمة: (الله Dieu)، و(الحب Amour) و(الطبيعة Nature).

شعرها ذو طبيعة غنائية، بل إن دواوينها الثلاثة تتضمن في تسمياتها كلمة «أغاني» وهي على التوالي:

الأغاني والزمن ١٩٢٠ — 1- les chansons et les heures
أغاني الرحمة ١٩٣٠ — 2 – Chants de la merci
أغاني آخر العمر ١٩٦١ — 3 – Chants d árriére -saison

– نموذج من شعرها:

نقدم فيما يلي ترجمة قصيدة لها بعنوان «إلى الأخرى Atierce»:

«لا شيء حقيقي كالحب.. فذوبي يا روحي – فيه واجري
في البئر اللامتناهي الذي كشفه يسوع لك
إنه كالموجة التي تتجدد في منبعها دوماً
وتفيض خارجاً عني في جميع الاتجاهات

* * *

أية تحفظات يمكن أن تقف في طريقك؟
أعطي كل شيء! أعطي أكثر دون معرفة قدر هذا العطاء
لا تخافي من أن ينقص لديك الحب
ولا تحتفظي لنفسك بشيء
ضمن يديك المفتوحتين بسخاء!

* * *

ماذا تحبين وكم من الوقت سنضيع في هذا الخيار
أحبي كل شيء! كل شيء صالح لأن يُحب!
كوني عمياء، ولكن أحبي
أحبي القريب وأحبي البعيد، أكثر مما تحبين نفسك
وكم هي معجزة يا إلهي أن نحب الجميع في الوقت نفسه!

* * *

أحبي من هو شبيه بك
وأحبي من هو نقيض لك
ولا تحبي أياً كان لجماله فقط
لأن سحر العيون سرعان ما يفارقها
والغد ينسيك الجمال السائد اليوم،

* * *

لا تحبي أياًّ كان بتأثير دموعه
لأن الدموع تزول بعد يوم،
ولا تحبي أحداً من أجل غنائه
فتأثير الأغاني لا يدوم أكثر من ساعة،
وإذا أردت – يا روحي – أن يدوم حبك
فأحبي كلَّ ما يوحي بالحب من أجل الحب.

*   *   *

٤ - شاعرات إيرلنديات

أولاً – إيلين ماري باتريك داوننج (١٨٢٨ – ١٨٦٩)
Ellen Mary Patrick downing

ولدت في مدينة كورك (إيرلندا) يوم ٩ آذار ١٨٢٨، وتوفيت في أحد الأديرة عام ١٨٦٩.

كانت تحب رجلاً اسمه «أوين Owen) وكتبت من أجل هذه القصيدة:

My Owen

«أنا فخورة بكَ، مغرمة بك، مشدودة إليكَ
قلبي فرح الآن فأنا أعلم أنني عزيزة عليكَ

فرحي يظهر في صوتي، فأنا مستعدة للغناء من أجلك
بكل ذلك الحب العجيب الذي يحرق قلبي تجاهك.
قلْ لي مرةً أخرى، بل مرّات ومرات
عن قصة ذلك المساء الذي رأيتك فيه لأول مرة يا حبيبي.
أنا اليوم لم يعد ينتابني الخجل
من ذلك الدفق الحار من الميل
الذي تشعر به زوجة أوين.
عندما يكشفُ قلبها عن ذلك!

* * *

أنا فخورة بك، مغرمة بك، وأملك جميع حقوقي عليكَ
متنازلة عن كل شيء آخر في سبيل حبي لك وانبهاري بكَ
مسرورة من أن قلبي أصبح يدق قريباً منك
خطواتي أصبحت دوماً مستعدة للطيران نحوك
والارتماء بين ذراعيك حيث لا يطالني أي حزن.
أقرأ عينيك وأتعلّم منهما بانتظار حب جديد
وبالرغم من عنفي وضعفي حتى الآن
من العهد الذي تعرضه لهذا الزواج المبارك
أعرف أكثر من أي حكيم عاقل
أنَّ قلبك سيصلّي من أجلي».

* * *

ثانياً – دورا سيجرسون شورتر (١٨٦٢ – ١٩١٨)

Dora sigerson shorter

شاعرة إيرلندية ولدت في مدينة دبلن عام ١٨٦٢، وتوفيت في لندن يوم ٦ كانون الثاني عام ١٩١٨، كانت متزوجة من السيد كليمانت شورتر .

– أشهر القصائد التي نظمتها:

– وردة ستذبل	1) A rose will fade
– المعزّون	2) The comforters
– نورا	3) Nora
– ريح الروابي	4) The wind on the hills
– شهر نيسان	5) April

وهاهي الترجمة العربية لقصيدتها الأولى:

وردة ستذبل (A rose will fade)

«لقد كنتِ دوماً وردة حالمة، أيتها الوردة الحمراء
عندما تتمايلين على غصنك المزهر العاطر
كنتِ تتمايلين، والعالم بكامله كان صادقاً حولك

وكنتِ تتحنين. ماذا كان يثير قلقك؟

أنّ الوردة يجب أن تذبل في يوم ما!

* * *

لماذا ابتسمت في وجهه، أيتها الوردة الحمراء

عندما انتزعَ أوراقك ورماها بعيداً؟

وأصبح العالمً بأسره مجنوناً من أجلكِ

كل العالم ركع على ركبتيه وتوسل

للوردة التي تتفتح في يوم ما!

* * *

لقد لملمت أنا أوراقك أيتها الوردة الحمراء

الأوراق التي رماها هو بعيداً

وكل العالم هزئ (سخر) من مصيرك

هذا العالم كيف تسنى له أن يعرف

أن الوردة ستذبل في يوم ما؟».

* * *

ثالثاً - آليس فيرلونغ (١٨٧٥ - ؟)
Alice Furlong

من مواليد إيرلندا ١٨٧٥، وأشهر قصائدها هي التي تحمل عنوان: «نصيبي في هذا العالم My share in the world» وهاهي ترجمتها:

«أنا غيورة، وأنا صادقة

وأنا مريضة القلب في حبك

يا نصيبي في هذا العالم

أنا باردة، باردة كالحجر

تجاه جميع الرجال، ما عداك وحدكَ!

* * *

النهار يزحف ببطء،أكثر بسبع مرات من المعتاد

عندما يكون وجهك بعيداً عني

آه، يا نصيبي في هذا العالم

والليل يأتي مظلماً أكثر بسبع مرّات

عندما لا يتمتع بصري برؤيتك!

* * *

فرحي واعتزازي لا حدود لهما

إذ اخترتني لأكون عروسك

آه يا نصيبي في هذا العالم.

إنّ وجهك هو منبع حبوري

في الصباح والمساء، عند الظهر وفي الليل!

عندما أذهب إلى الرقص أو إلى إحدى السهرات

أذهب من أجلك فقط

آه يا نصيبي في هذا العالم،

ذاك لكي أرى وجهك هنيهة فقط

أُلاقي عينيكَ وأحصل على ابتسامة منكَ!

* * *

والكلمة المرحة التي تنطق بها شفتاي

لا تنطق بسري أبداً

لك يا نصيبي في هذا العالم،

خطوة قدمي هي خفيفة فوق العشب الأخضر

ولكنّ قلبي يصرخُ من شدة شوقه.

* * *

إنَّ أمي تتنهد من جديد

عندما ألاحقك بنظراتي

أه، يا نصيبي في هذا العالم،

وحاجب أبي يصبح أشدَّ سواداً

عندما تبتسم وتديرُ لنا ظهرك.

* * *

أود لو أذهب معك بسهولة

أذهب معك إلى ما وراء البحار

أذهب مع نصيبي في هذا العالم.
سأترك قلبي في المنزل
لو همس (همست) لي بكلمة (تعالي)
مستعدة لأن أعيش دون مسكن تحت الشمس وقطرات الندى
وأن أشحذ رغيف خبزي، إذا كنتُ معك
آه يا نصيبي في هذا العالم،
سأعيش دون سكن تحت الثلوج والعواصف
لأن الحب المنبعث من قلبك سيمنحني الدفء.

* * *

أود لو أصلي وأن ألتمس
أن يضمني معك قبر واحد
آه يا نصيبي في هذا العالم
أنا مستعدة لاجتياز النار والطوفان
ومستعدة للتنازل عن كل شيء ماعدا الله
للحصول على (نصيبي من هذا العالم)»!

* * *

الفهرس

الصفحة

مقدمة الكتاب ٧

خطة الكتاب ١١

الفصل الأول

شاعرات ما قبل الميلاد ١٣

بلبالة السومرية.................................. ١٣

بيتوحا الفرعونية................................ ١٧

سافو الإغريقية.................................. ٢٢

بيليتيس التراقية ٤٠

إيرينا الديْلُوسيّة ٥٨

شاعرة سنْسكريتية مجهولة ٦٢

الفصل الثاني

شاعرات العصور الوسطى............................ ٦٣
ليلى العامرية................................ ٦٥
رابعة بنت إسماعيل العدوية........................ ٦٦
عُليَّة بنت المهدي ٦٧
خديجة بنت المأمون............................ ٤٧
سلمى البغدادية بنت القراطيسي ٧٥
ولاّدة بنت المستكفي............................ ٧٦
حفصة بنت الحاج الركونيّة ٨١
الجارية إنْس القلوب............................ ٨٥
آنْ دو فرانس ٨٦
كريستين دوبيزان ٨٨

الفصل الثالث

شاعرات العصور الحديثة ٩٣

نينون ده لانكلو ١٠٠

آن هنْتَر.. ١٠١

ماريانا آلكوفوراندو ١٠٤

مارسيلين ديبورد فالمور ١٠٥

هيلينا سيكورسكي............................... ١٢١

كارولينا نيرن.................................... ١٢٨

الفصل الرابع

شاعرات العصر الحاضر ١٣٣

إليزابيث باريت براوننج............................ ١٣٥

إميلي برونتي ١٤٦

كريستينا روزيتي ١٥٢
آليس مينيل.. ١٥٧
شارلوت مْيُو ١٦٠
إميلي ديكنسون.................................... ١٦٧
سارة تيسيديل ١٧٤
إلينور وايلي ١٨٣
هيلدا دولتيل.. ١٩٢
إدناسان فنسان ميلاي ١٩٥
دوروثي باركر.................................... ٢١٠
لويز كوليه.. ٢١٧
ماري نويل.. ٢٢٤
دورا سيجرسون شورتر ٢٢٨
آليس فيرلونغ ٢٣٠

الطبعة الأولى / ٢٠١٢م

عدد الطبع ١٥٠٠ نسخة

آفـاق ثقـافيـة



أشـهر شـاعرات الحب في بلاد الشرق والغرب

(تراجم ومختارات شعرية)

www.syrbook.gov.sy
٢٠١٢م

السعر (٥٠) ل.س